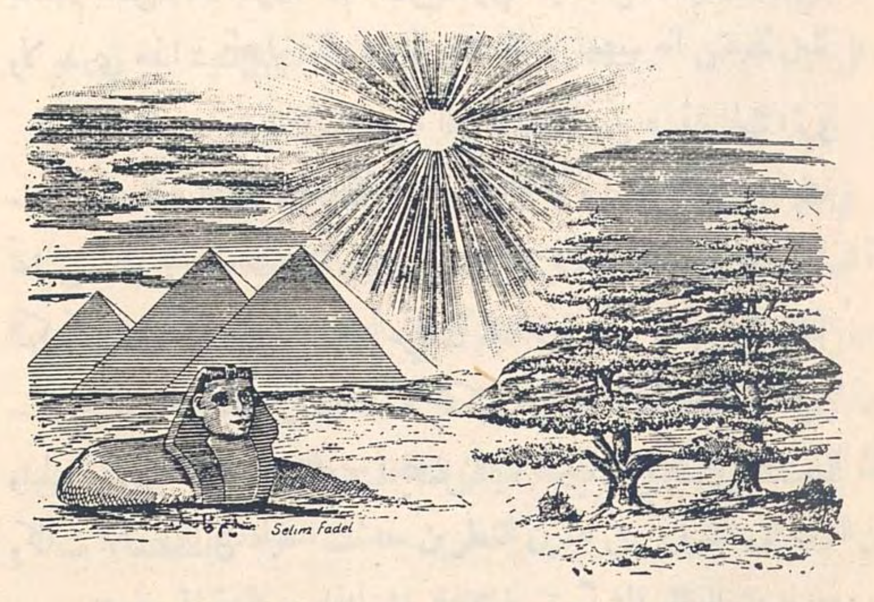
السنة الاولى

الزهور

١٩١٠

الجزءان السادس والسابع أغسطس وسبتمبر (آب وأيلول)



مصر وسوريا

قلنا عند صدور الجزء الاول من هذه المجلة ، إننا انما انشأناها لتكون الرابطة الادبية بين الاقطار العربيـة . وذلك بايجاد صلة تعارف وترابط بين ادباء هذه الاقطار وكتّابها وشعرائها ، بنشر رسومهم وما تجود به قرائحهم ، ليتمّ التعاضدُ والتساندُ الادبي ، فنجني الفائدة المبتغاة من تراسل

الادباء وتآزرهم للقيام بالنهضة الحديثة التي بدتْ طلائعها في اوائلِ القرنِ العشرين حتى كادتْ تُرجِع الى الاداب العربية عصورها الذهبية

اقدمنا على هذا العمل بعد مفاوضة السواد الاعظم من أئمة حملة الاقلام ، فأنسنا منهم ارتياحاً عظيماً الى هذا المشروع ، لانهم كانوا يشعرون جميعهم بالحاجة الى التكاتف والتعاون ، لئلاّ يظلوا منفصلين عن بعضهم بعض ، فلا يعرف الاديبُ المصريّ شيئاً عن الاديب الشاميّ ، ولا يدري هذا شيئاً عن زميله العراقي ، وقسْ على ذلك

واذا القيت نظرةً الى الاجزاء التي صدرت من هذه المجلة ، ترى مقدار استحسان القوم لهذه الفكرة ، وإقبال الادباء على تعضيدها بغيةَ تحقيق هذه الامنية الشريفة . وتجد فى كلِ جزء ميداناً تتبارى فيه اقلام الكتّاب من كل صقع . حتى عُرِفتْ مجلة « الزهور » بهذه الميزة على سائر المجلات ، واصبح يُراسلها العددُ الكبير من ادباء مصر والشام والعراق والجزائر ومراكش . ناهيك بما يحملُ الينا البريد من رسائل التنشيط وكلمات الاستحسان

ولقد سهل علينا ادراكُ هذه الغاية خصوصاً فيما يتعلق بمصر وسوريا ، لسهولة المواصلات ، وتشابه التقاليد والعادات بين هذين القطرين الشقيقين ، وسير الحركة الفكرية فيهما في مجرى واحد

ولهذا ما كدنا نعلن عن عزمنا على إصدار العددِ السنوي الكبير حتى تواردتْ علينا الرسائلُ من القراء ، وكلُّهم مُجمِعون على جعل موضوع هذا العدد الخاص « مصر وسوريا » وكنا قد تركنا للقراء الكرام

حقّ اختيار الموضوع الذي يروقهم البحث فيه . ولقد سرّنا هذا الاقتراح ايمّا سرور لاننا رأينا فيه استحسانَ العامةِ وجمهورِ القراء لغاية المجلة ، بعد استحسان الخاصة وفئة الادباء . وايقنا بنجاح تلك الفكرة ، وهي التوصلُ شيئاً فشيئاً الى إحكام الرابطة الادبية بين الامصار العربية

هذه هي الاسباب التي حملت ادارة هذه المجلة ايهـا القارئ العزيز على ان تتقدم اليك بهذا العدد الخاص المتوّج باسم القطرين العزيزين . وهي على يقين تام من انه سيحل منك محل الرضى والارتياح

***

بقي علينا بعد ذلك تقرير كيفية طرق هذا الموضوع الواسع . إذ ما عسانا ان نقول عن مصر وسوريا . ومصر وسوريا مهدُ الحضارة والمدنية ، والملعبُ الذي تمثلتْ عليه اكبرُ مشاهدِ تاريخِ البشرية بل إنَّ فينيقيا وارضَ الفراعنة هما محورُ التاريخ القديم ، ودائرة قطبه . حولهما كان معترك الامم . وفيهما كان ممر الشعوب في زحفها من الشرق الى الغرب ، أومن الغرب الى الشرق . في هذين القطرين حدثت الحوادث المأثورة ، وفي ربوعهما جرت الوقائع المشهورة . فكانا في ايام الحرب ساحة الهيجاء ، وفي ايام السلم مجتمع العلماء . هذا من الوجهة التاريخية اما من الوجهة الجغرافية فان ذينك القطرين قبل نقض برزخ السويس وبعد نقضـه كانا الرابطةَ بين آسيا وافريقيا ، والطريق اللاحبة بين اوربا والهند والعالم الجديد . اما الوجهة السياسية فقد ضربنا عنها صفحاً في بحثنا منذ البداية ، لانَّ مجلتنا غريبة منذ نشأتها عن السياسيات

وعليه فقد وجدنا موضوعنا واسعاً مترامي الاطراف ، تضيق المجلدات الضخمة عن استيعاب بعض ابوابه ، سيما وإنه ليس من غايتنا ايراد تاريخ القطرين ووصفهما جغرافياً ، فالكُتُبُ التي تبحثُ في ذلك هي فوق الحصر فضلاً عن ان ذلك خارجٌ عن نطاق مجلة ادبية فنية مثل «الزهور» ولذلك آثرنا طرق هذا الموضوع من الوجهة الادبية . فاستكتبنا الادباء الاعلام الذين يُساعدون في تحرير هذه المجلة واضفنا الى كتاباتهم شيئاً من اقوال الكتّاب الغابرين وبعض الشذرات الادبية في هذا الموضوع . وزيّنا ذلك ببعض رسوم المناظر الطبيعية والآثار القديمة في القطرين ، زيادةً في الفائدة والرونق

ولا ندّعي ذكر كل ما يستحق الذكر من الآثار والمناظر وما كُتب فيها قديماً وحديثاً ، لانه لا يخفى ما يستغرقُ ذلك من الفصول الطوال اذ إن لكل شبرٍ من هذه الاراضي تاريخاً عظيماً او ان فيه اثراً فخيماً . فضلاً عن أنّ لنا متسعاً في الاعداد القادمة لذكر ما ضاق هذا الجزء عن ايراده سواء كان عن مصر وسوريا او عن سائر الاقطار العربية

* * *

نعم ان الانسان ينظرُ الى ماضيه ، فيخاله احسن مما كان ؛ والى حاضره ، فيراه اقبح مما هو ؛ والى مستقبله ، فيظنه اسعد مما سيكون ؛ وبحق قال دانتي الشاعر التلياني : « لا حسرة للانسان في ايام تعاسته اعظم من ذكره مجدهُ السالف » ولكن هذا المبدأ الصحيح في كل فردٍ من الهيأة الاجتماعية فاسدٌ اذا ما استعملناه للشعوب ، فالشعوب تحيا

بماضيها الذي تعدُّهُ إرثاً ثميناً من الاجداد . ومن صفحات عزِّها الغابر تتخذ لها قوةً تؤهّلها للحياة الامل . فنحن نذكر اذن ماضينا لننشط في حاضرنا ، ويزداد املنا في مستقبلنا . . . . فعسى ان تؤدي مجلتنا بعض هذه الخدمة

والعربُ اليوم اشبه باليونان من حيث موقفهم إزاءَ الرقي الاجتماعي : ماضٍ مجيد ، وحاضر مضطرب ، ومستقبل مجهول سيكون كما يشاؤون وعلى مقدار استفادتهم في حاضرهم من عِبَر ماضيهم . ونحن اليوم لسنا في الظلام ولا في النور . ولكننا واقفون بين هذا وذاك . فعسى ان يكون ذلك غلساً يعقبه اشراق النهار ، لا غسقاً يتقدم زوال الانوار

ولقد جرى اليونان في هذه السنوات الاخيرة على عادة جميلة ، كان لها اكبرُ تأثيرٍ في إحكامِ رابطتهم القومية . وهي انهم يُصدرون كتاباً سنوياً يشترك في تحريره كل كتّابهم من جميع الاصقاع التي نزلها ابناء العنصر اليوناني ، فيكتب كل واحدٍ منهم فصلاً عن احوال ابناء جنسهِ في البلد الذي استوطنوه ، فيتألف من ذلك مجموعة ضافية تتضمن كلَّ ما يجدرُ بابناء العنصر الواحد معرفتهُ عن اخوانهم وحالتهم الادبية والاقتصادية . . . ويجمل بالعرب ، وهم الضاربون في انحاء مختلفة ، أن يحذوا هذا الحذو ، فيأتوا مثل هذا العمل الذي لا تُعدّ فوائدهُ ، ولا تحصى منافعهُ . فتكون تلك المجموعةُ اشبهَ بمؤتمرٍ سنويّ — يصعب عقده فعلاً — يتعارفُ بواسطتها اهلُ مصر وسوريا والعراق واليمن ومراكش والجزائر وتونس والمهاجرون منهم الى اميريكا واوستراليا والشرق الاقصى .

ويطلعون على شؤون بعضهم بعض في كل هـذه الاصقاع فيتبادلون المنفعة والفائدة .

ولم يتيسر لهذه المجلة ان تقوم بمثل هذه الخدمة منذ سنتها الاولى ، نظراً الى مشقة هذا العمل ووجوب إعداد العدة اللازمة لهذا المشروع الكبير ، ولكن تلك امنيةٌ من امانيها ستعمل على تحقيقها بمناصرة الفضلاء الغيورين ،

* * *

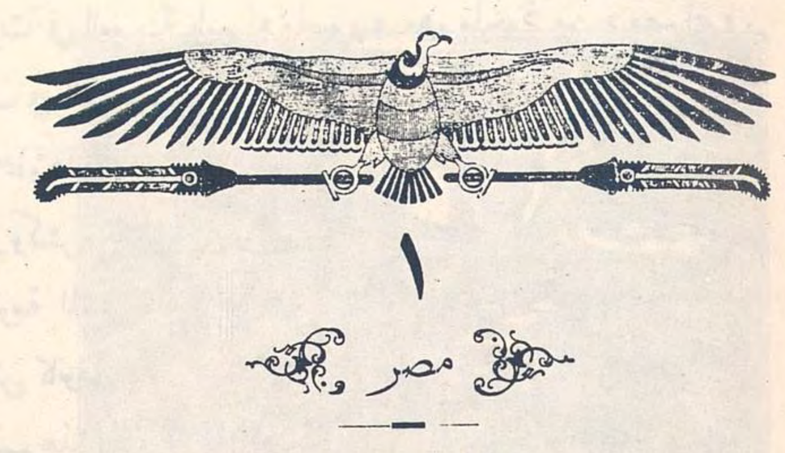
وفي هذا العدد — وان كان قاصراً على الادبيات — مقدمـة لهذا المشروع الكبير . لأن ترابط الاجزاء الواحد بعـد الثاني يؤولُ حتماً الى ترابط الكل

ولقد قسمنا موضوعنـا الى ثلاثة اقسام : الاول يبحث في مصر ، والثاني في سوريا ، والثالث يتناول شيئاً من اقوال كتّاب كلّ قطرٍ في الثاني ، مما يزيد توثيق عُرى التقرب بين القطرين

هذه هي الخدمة التي ينبغي ان نقوم بها ، والغاية التي يجب ان نسعى اليها ، ولا نشك في ان كلّ قارئ يودّ المساعدة على تحقيقها . فإنّ وراء ذلك تقريبَ القلوب ، ونشر السلام والوئام ؛ والله الموفّق في البداية والختام

مدير المجلة





١

في مصر

﴿ اسماء مصر ﴾

مرجع اسماء مصر الى ثلاث لغات مختلفة : اللغة المصرية ، واللغات السامية ، واللغة اليونانية . فمن الاسماء المصرية «قميت» ومنه اشتق الاسم القبطي الصعيدي « قيمه » والاسم القبطي المنفي « خيمي » وقد اختلفوا في معناه فمن قائلٍ انه موقد ، او مجمرة ، او تنّور . ومن قائلٍ إنه ربوةٌ ذات نار مستعرة . ومن قائلٍ انه اسود . ومن اسمائها « بق » وهو شجر اليسار ، سمّيتْ به لكثرتِهِ فيها قديماً . وكذا « تونهي » ، اي ارض الجميز ، لكونه ينبتُ فيها بكثرة . ولها اسماء اخرى غير ذلك ، منها « آن تاوي » اي اقليم مدينة « آن » الشهيرة الآن بعين شمس

واما اسماؤها السامية فهي « مصير » و « مصري » وُجدت في الالواح الاشورية التي وردت من تل العمارنة وتاريخها سنة ١٧٠٠ ق . م . وفي شروط العائلة الاولى البابلية المؤرخة سنة ٢٠٠٠ ق . م . ذُكرَتْ باسم « موصور » في الآثار الاشورية المنقوشة في عهد السرجونيين .

وذُكرتْ في العبريـة باسم « ماصور » وهو مأخوذ من « مصرايم » .
وتُعرَف في العربية بمصر

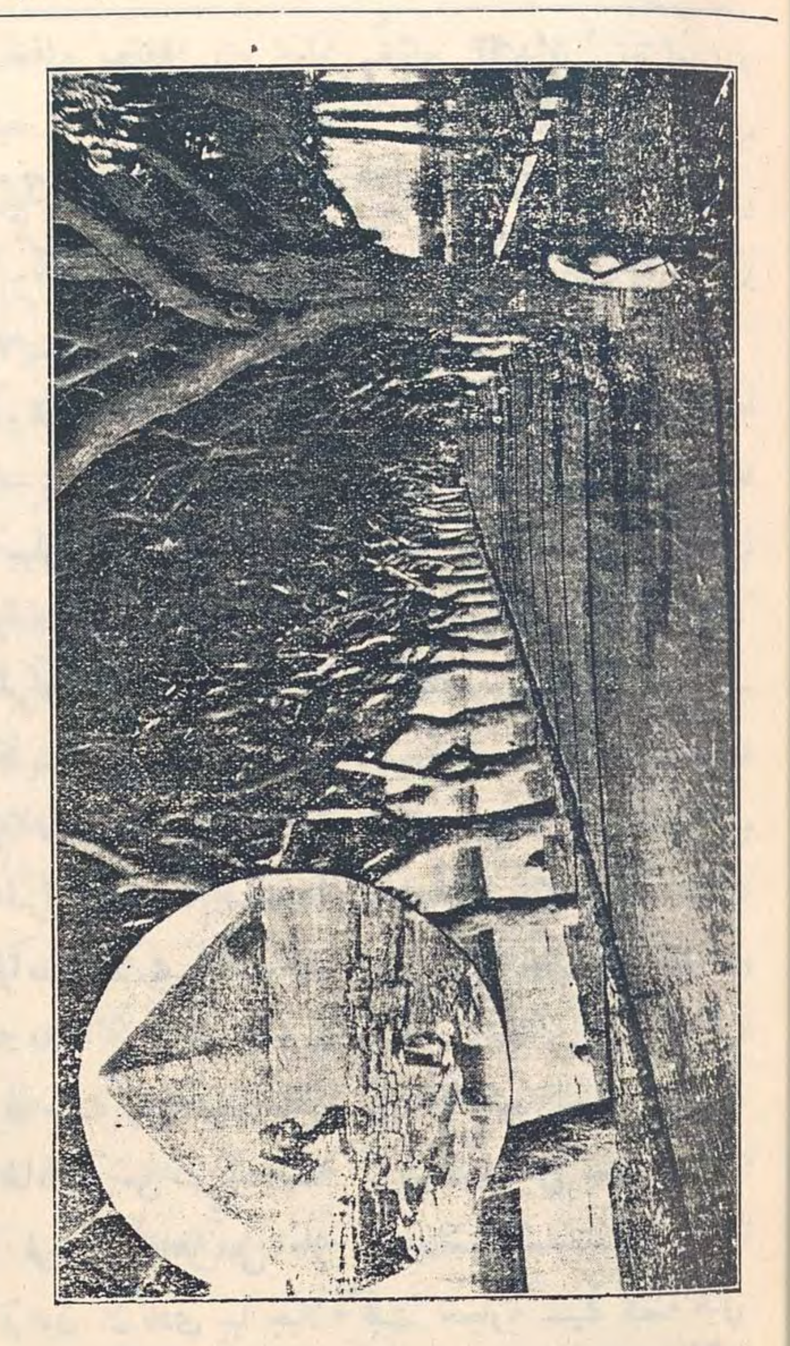
اما اسماؤُها المتعارفة عند اليونان وفي اوربا فهي اجبيتوس [1] Aegyptus
قال بروكش انه مشتق من « حاكابتاح » اسم « منَف » عاصمة
الحـكومة المصرية القديمـة . لان الاقوام المتوحشة من ملاحي البحر
الابيض كانوا يقيمون في مصر ازماناً طويلة فيسمعون من اهلهـا اسم
عاصمتهم هذا لانها كانت اكبر مدن مصر واهمها واغناها . فنقلوا اسمها الى
بلادهم وحرّفوه الى « اجيبت ، Egypte» وهو الشائع الآن ... وذهب
بكتيت الى غير ذلك ، فقال إنّ « إِ » معناه الماشية و« جوب » معناه
الحارس فيكون معناها الراعي . وقـد جُعلا اسماً للعقاب تهكماً به ، ثُمَّ
أُطلقا على مصر من قبيل التهكم لإغارة الرُّعاة

احمد كمال [2]

---

(١) وقد وردت هذه الكلمة لاول مرة في اشعار هوميرس

(٢) من المحاضرات التي القاها « في الجامعة المصرية » الاثري الشهير مدير متحف الآثار العربية احمد كمال بك



الاهرام وابو الهول — والطريق المؤدية اليها

فرعون وقومه

هذه قصيدة لسعادة استاذ الشعراء اسماعيل باشا صبري ، وهي من خير ما قيل في آثار مصر . وقد ضمّنها الشاعر نظريةً جديدة ، وهي ان هذه البنايات الفخيمة لم تتمّ الا على يد عمال كانوا يطلبون الاتقان الفني اكراماً للفن لا خوفاً ولا طمعاً . ولا يضارع جلال هذه الابيات وفخامتها الا جلال وفخامة تلك الآثار :

« لا القوم قومي ولا الاعوان اعواني اذا ونى يومَ تحصيلِ العلى واني
ولستُ — انْ لم تؤيدْني فراعنةٌ منكم — بفرعونَ عالي العرشِ والشانِ
ولستُ جبارَ ذا الوادي اذا سلمتْ جبالهُ تلك من غاراتِ اعواني
لا تقربوا النيلَ ان لم تعملوا عملاً فماؤه العذبُ لم يُخلقْ لكسلانِ
ردوا المجرَّة كداً دونَ موردهِ او فاطلبوا غيره ريّاً لظمآنِ
وابنوا كما بنتِ الاجيال قبلكمو لا تتركوا بعدكم فخراً لانسانِ
امرتكم فأطيعوا امرَ ربكمو لا يُثنِ مستمعاً عن طاعةٍ ثاني
فالملكُ امرٌ وطاعاتٌ تسابقهُ جنباً لجنبٍ الى غاياتِ احسانِ
لا تتركوا مستحيلاً في استحالته حتى يميطَ لكم عن وجه امكانِ ..»

***

مقالةٌ قد هوتْ من عرش قائلها على مناكب ابطالٍ وشجعانِ
مادت لها الارض من ذعرٍ ودان لها ما في المقطَّم من صخرٍ وصوّانِ
لو غيرُ فرعونَ القاها على ملاٍ في غير مصر لعدّتْ حُلمَ يقظانِ
لكنّ فرعونَ ان نادى بها جبلاً لبّتْ حجارته في قبضة الباني
وآزرتهُ جماهيرٌ تسيل بها بطاحُ وادٍ بماضي القوم ملآنِ

يبنون ما تقفُ الاجيالُ حائرةً امامهُ بين إعجابٍ وإذعانِ
من كل ما لم يلدْ فكرٌ ولا فُتحتْ على نظائره في الكون عينانِ
ويشبهون اذا طاروا الى عملٍ جناً تطير بامرٍ من سليمانِ
برًّا بذي الامرِ لا خوفاً ولا طمعاً لكنهم خُلقوا طلاَّبَ اتقانِ

***

اهرامهم تلك ـ حيَّ الفنَّ متخذاً من الصخور بروجاً فوق كيوانِ
قد مرَّ دهرٌ عليها وهي ساخرةٌ بما يُضعضع من صرحٍ وايوانِ
لم يأخذِ الليل منها والنهار سوى ما يأخذ النمل من اركان ثهلانِ
كأنها — والعوادي في جوانبها صرعى ـ بناء شياطينٍ لشيطانِ
جاءتْ اليها وفودُ الارض قاطبةً تسعى اشتياقاً الى ما خلَّد الفاني
فصغَّرت كلَّ موجود ضخامتها وغضَّ بنيانها من كل بنيانِ
وعادَ منكرُ فضل القوم معترفاً يثني على القوم في سرٍ واعلانِ
تلك الهيا كل في الامصار شاهدةٌ بانهم اهلُ سبق اهلُ امعانِ
وإنَّ فرعونَ في حولٍ ومقدرةٍ وقومَ فرعونَ في الاقدام كفؤانِ
اذا أقام عليهم شاهداً حجرٌ في هيكلٍ قامتِ الاخرى ببرهانِ
كأنما هي — والاقوام خاشعةٌ امامها ـ صحفٌ من عالمٍ ثاني
تستقبل العينَ في اثنائها صورٌ فصيحة الرمز دارتْ حول جدرانِ
لو أنها أُعطيت صوتاً لكان له صدًى يروّع صمَّ الانس والجانِ

***

أين الأُلى سجلوا في الصخر سيرتهم وصغّروا كلَّ ذي ملكٍ وسلطانِ

بادوا وبادت على آثارهم دولٌ　وأُدرجوا طيَّ اخبارٍ واكفان
وخلّفوا بعدهم حرباً مخلدةً　في الكون ما بين احجارٍ وازمانِ
وزُحزحوا عن بقايا مجدهم وسطا　عليهم العلمُ ذاك الجاهلُ الجاني
ويلٌ له هتكَ الاستارَ مقتحماً　جلالَ اكرمِ آثارٍ واعيانِ
للجهلُ ارجح منه في جهالته　اذا هما وُزنا يوماً بميزان

اسماعيل صبرى

آثار مصر

١ — هيكل انس الوجود

أيها المنتحي (باصوان) داراً　كالثريا تريد ان تنقضا
اخلعِ النعلَ واخفضِ الطرف واخشع　لا تحاول من آية الدهر غمضا
قفْ بتلك القصور في اليم غرقى　ممسكاً بعضها من الذعر بعضا
كعذارى اخفينَ في الماء بضاً　سابحاتٍ به وابدين بضا
مشرفات على الزوال وكانت　مشرفاتٍ على الكواكب نهضا
شاب من حولها الزمان وشابت　وشباب الفنون ما زال غضا
رُبَّ نقشٍ كانما نفض الصا　نعُ منه اليدين بالامس نفضا
ودهانٍ كلامعِ الزيت مرّت　أعصرٌ بالسراج والزيتُ وضا
وخطوطٍ كأنها هدبُ ريمٍ　حسنت صنعةً وطولاً وعرضا
وضحايا تكاد تمشي وترعى　لو اصابت من قدرة الله نبضا

ومحاريب كالبروج بنتها عزماتُ من عزمة الجنّ امضى
شيدت بعضها الفراعين زلفى وبنى البعض اجنبٌ يترضى
ومقاصير ابدلت بفتات الـ مسك تربا وباليواقيت قضا
حظها اليومَ هدةٌ وقديماً صرفت في الحظوظ رفعاً وخفضا
سقتِ العالمينَ بالسعد والنحـ ـسِ الى ان تعاطتِ النحسَ محضا
صنعةٌ تُدهش العقولَ وفنٌ كان اتقانه على القوم فرضا

*
* *

يا قصوراً نظرتها وهي تقضي فسكبتُ الدموعَ والحق يُقضى
انتِ طُغرا ومجدُ مصر كتابٌ كيفَ سامَ البلى كتابك فضا
* وانا المحتفي بتاريخ مصرٍ من يصن مجدَ قومه صان عرضا
لم تمتْ امة ولا باد شعبٌ اقرضوا الذكرَ والاحاديثَ قرضا
ربَّ سرٍ بجانبيك مزالٍ كان حتى على الفراعين غمضا
قل لها في الدعاء لو كان يجدي ياسماءَ الجلال لا صرتِ ارضا
حار فيك المهندسون عقولاً وتولت عزائم العلمِ مرضى
أينَ ملكٌ حيالها وفريد من نظام النعيم اصبح فضا
أين فرعون في المواكب تترى يركضُ المالكين كالخيل ركضا
ساقَ للفتح في الممالك عرضاً وجلا للفخار في السلم عرضا
أين « ازيس » تحتها النيلُ يجري حكمت فيه شاطئين وعرضا
أسدلَ الطرفَ كاهنٌ ومليكٌ في ثراها وارسل الرأس خفضا

في قيود الهوان عانين جرضى[1]   يعرض المالكون اسرى عليها

تشتكي من نوائب الدهر عضا   مالها اصبحت بغيرِ مجيرٍ

ملكة في السجون فوق حضوضى[2]   هي في الاسر بين صخرٍ وبحرٍ

أبهذا في شرعهم كان يُقضى   أين « هوروس » بين سيف ونطع

أم رماه الوشاةُ حقداً وبغضا   ليت شعري قضى شهيدَ غرامٍ

دونَ فعل الفراق بالنفس مضا   رب ضربٍ من سوطِ فرعون مضٍ

دونَ سيفٍ من اللواحظ يُنضى   وهلاك بسيفه وهو قانٍ

أين راوي الحديثِ نثراً وقرضا   قتلوه فهل لذاك حديثٌ

أحرجوه فضيعَ العهد نقضا   شيمة النيل ان يفي وعجيب

ليت بالنيل يومَ يسقط غيضا   حاشه[3] الماء فهو صيد كريم

أنقذوه بالمال والعلم نقضا[4]   شيدوا المال والعلوم قليلٌ

شوقي

هيكل انس الوجود

(١) مغمومين (٢) جبل كان العرب ينفون فيه خلعاءهم (٣) حاشه اي احرج الصيد من كل مكان (٤) اثر

٢

وقد غمرت المياه قسماً من هذا الاثر البديع المشيد على عمدٍ في ماء النيل بالقرب من شلال اصوان كما ترى في الرسم . حتى بات يخشى ان يذهب الاثر بعد العين . وقد قال الاديب صاحب الامضاء باكياً :

وَقفٌ عليكَ دموعي ايها الطللُ عيني اليك وقلبي للألى رحلوا . . .
ارسلتُ بالعينِ في سقياكَ هامية وفي الطلول البوالي ترسلُ المقلُ
يا أيها الطللُ المزوَرُّ [1] جانبهُ هوّنْ عليك كلانا بعدهم طللُ
وقفتَ باليمّ رسماً لا حراكَ به واليمُّ مضطربٌ والموج مقتتلٌ
الدهرُ ملَّ وآيُ الدهرِ كامنةٌ في وجهك الطلقِ لا يبدو بها مللُ [2]
قرأتُ فيهن سرَّ العالمينَ فيا شتان ما بين من قالوا ومن عملوا
كانوا اذا ابصروا شمس الضحى سجدوا لها وإن ابصروا شمها الهدى عدلوا
هنالكَ التاجُ كانت كلما سطعتْ بدورُه طأطأتْ هاماتِها الدولُ

عبد الحليم المصري

وآثار مصر من ستة انواع وهي الاهرام والمسلاّت والتماثيل والقصور والهياكل والقبور . واكبر الاهرام واشهرها هرم كيوبس في الجيزة وعلوه ١٣٨ متراً ومن المسلات مسلات كرنك واون والاسكندرية ومن التماثيل تماثيل ممنون ورعمسيس ومن القصور اللبرنث في الفيوم وهو يحتوي على ١٢ قصراً و ٣٠٠٠ غرفة ومن الهياكل هيكل كرنك ولقصر الخ . .

---

(١) المائل (٢) : يشير الى تاريخ بناء القصر المنقوش على مدخله بالعبري

النيل

مصر هدية من النيل

(هيرودُت)

اسم النيل مأخوذ عن اليونان واصل الكلمة في لغتهم « نيلوس » ولعل اليونان اخذوها عن الفينقيين او الحثيين او عن القبائل التي كانت في لوبيا او في آسيا الصغرى. اما اسمه عند المصريين بصفته مقدساً فهو « جعپى » وإن اخرجوه عن الالوهية سموه « يومع » ومعناه اليم . او سموه النهر الكبير « أور » ويؤخذ من الرسوم القديمة انه كان يكنّى بابي الارباب ، ورب الغذاء ، ومخرج المأكولات بخصبه ، ومالىء القطرين بمحصولاته ، ومانح الحياة ، ومزيل المجاعة الخ . وحقاً ان النيل لكذلك

وهو يحدث في مصر ثلاث هيئات : الاولى زمن الفيضان ، فتصبح فيه مدن مصر جزائر وارضها انهاراً ولكن ذلك سيزول بمشروعات الريّ الجديدة . والثانية زمن الانحسار ، فتكون فيه كجنةٍ اغراسها نضرة ومزارعها يانعة خضرة . والثالثة زمن التحريق فتكون الارض فيه قحلة جدبة عليها غبرة . ولقد اصاب احد شعراء العرب اذ قال :

كأنّ النيلَ ذو فهم ولبّ لما يبدو لعين الناس منهُ
فيأتي حين حاجتهم اليه ويمضي حين يستغنون عنهُ

وقال ابو الحسين المعروف بابن الوزير مشيراً الى ما ينجم عن الفيضان من الخيرات :

أرى ابداً كثيراً من قليلٍ وبدراً في الحقيقة من هلالِ
فلا تعجب فكلُّ خليج ماء بمصر مسببٌ لخليجِ مالِ
زيادة إصبعٍ في كل يومٍ زيادة أذرعٍ في حسن حالِ

عيد النيل

وكانوا يحتفلون قديماً بعيد النيل احتفالاً عظيماً ، فاذا جاء الانقلاب الصيفي واتى الماء المقدس من اجباب اسوان الى جبل السلسله قامت القسوس المقيمة في هذا الجبل او الملك الحاكم او ابنه فيتقرب بثورٍ او بأوز ، ثم يُلقي في الماء قرطاساً مختوماً من البردى يشتمل على امرٍ فيه اطلاق الحرية له بالزيادة ، لكي يضمن لمصر الخير بفيضانٍ معتدل وكانوا يعتنون بهذا العيد رعايةً للرواية القديمة القائلة ان سعادة السنة او شقاءها موقوف على ذلك المهرجان ، فان حصل منهم في شأنه اهمالٌ او توانٍ ، رفض النيل الامر الصادر اليه ، واغرق الاراضي والجهات . وفي هذا الموسم كان الفلاحون يأتون بالزاد ويأكلون معاً اياماً متوالية ويشربون حتى يثملوا . ويستمرون على ذلك حتى يأتي يوم الموسم الكبير ، فتخرج حينئذ القسوس من المحراب وبينهم تمثال فيزفونه على الشاطئ بالالحان والاصوات المطربة والترتيل والمدائح وصدح الآلات الموسيقية فيقولون ما ملخصه :

« السلام عليك ايها النيل ، يامن ظهرت على هذه الارض وأتيت لاحياء مصر ، انت الذي يختفي مجيئك في الغياهب الى يوم الترتيل بقدومك أنت البحر المفيض بمياهك على البساتين التي اوجدتها الشمس لنا لتحي جميع ما يكون في شرق . انت صانع القمح وموجد الشعير ومطيل اجل المعابد . ان تعطلت اصابعك او اعتراك كساد ، اصبحت الالوف من الناس في فاقة . وان نقصت وقت نزولك من السماء ، أفنيت المعبودات والخلق ، وتكدرت الحيوانات وصارت الارض كباراً وصغاراً في عذاب . واذا كانت الحال على عكس ذلك واستجيب دعاء الناس تصبح الارض ابتهاجاً ، وينشرح كل ذي بطن ، ويهتز كل ظهر من الضحك . . يامجلب

الارزاق ومكثر المأكولات ، انت الذي يوجد عَلفَ الحيوانات ، ويعطى كلّ ما لزم لقرابين المعبودات ، انت الذي يهتم بالقطرين فتمتلىء المخازن وتزداد خيرات الفقراء ، انت الذي يستجيب دعاءهم عند تقديم النذور فلا ينقصهم شيء . . . واذا دخلت كنت محاطاً بالاغاني ، واذا خرجت صاحبكَ التهليل ، واذا رقصوا فرحاً يوم ظهورك من غياهب مكمنك فما ذلك الا لكون عجزك اضمحلال لهم وفساد . . . ومتى تضرعوا اليك لينالوا الماء السنوي شوهد اهالي مصر الوسطى واهالي الوجه البحري مصطفين بعضهم بجانب بعض ، وكان كل امرىء حاملاً لعُدد صنعته ولا ينزوي احد وراء جاره . . . انت منبت الارزاق الحقيقية التي هي رغبة الناس . . . هذا هو كلام الالتماس الذي يحملك مجيباً لدعائهم واذا تكرمتَ بلجج المحيط السماوي على الانسانية قدّم « نبرى » معبود الحب عندئذ قربانه وسجدت لك كل المعبودات قاطبة . ومتى عجنت يداك شيئا صار ذهباً ، او طوبة صارت فضةً . لا يوكل اللازورد لكن القمح افضل من الاحجار الكريمة . لقد شرعوا في الاغاني على العود ، واخذوا يرتلون لك بتصفيق مستمر لتبتهج من اجلك ذراري اولادك ، وليكثروا من اجلك تراتيل المدح ، كيف لا والنيل هو اله الثروة ، وهو الذي يحيي قلوب النساء الحبالى . ولو تأخر عن اعطاء الغذاء ، لزالت السعادة من المساكن ، ووقعت الارض في ضعف شديد . . . »

ولا يزال المصريون حتى اليوم يحتفلون احتفالاً عظيماً بما يسمونه « وفاء النيل » ولقد جرى الاحتفال هذا العام في ٢٥ اغسطس (آب) الماضي بالابهة المعتادة :

وفاء النيل

في هذا اليوم الذي كان فيه قدماء المصريين يقدمون لك فتاة من أجمل فتياتهم ، ويلبسونها أجملَ الاثوابِ وأثمنَ الحلى ، ويأتون بها الى وسط مياهك الهادئة ويطرحونها ضحية في أمواجك اللطيفة ، نأتي نحن ايضاً ابناء القرن العشرين بتقدماتنا وضحايانا

كنت الهاً عظيماً ، لانك كجميع آلهة البشر قوةٌ عجيبةٌ من قوى الكون ومظهر غريب من مظاهر الارض . فحسبوك الهاً كسائر آلهتهم التي يعبدونها تحب النقمة وترتاح الى سفك الدماء وتصبو الى الذبائح والضحايا ، لذلك كانوا يزفّون اليك كل عام فتاة فتانة لتكون لك عروساً أيها الاله وابن الآلهة . . !

هذا الوحشُ الضاري السفاح الذي يشرب الدماء والاثم كالماء الذي نسميه انساناً قد صنعك انت ايضاً كسائر الآلهة على صورته ومثاله . . .

على نغمات العود والقيثارة والمزمار ، وبين اناشيد الغناء وضجيج الاستحسان كانوا يأتون اليك بأميرةٍ من اميراتهم في ربيع صباها وريعان جمالها يترقرق الحسن في وجنتيها ويتألق الجمال في خديها ، ولا يخشون أن يطرحوها في احشائك أنت يا اله الرحمة والصلاح !

* * *

كنت الهاً عظيماً ، ولا تزال الهاً فخيماً بيدك الخير والشقاء ، وبين شفتيك الموت والحياة ، تضرب وتشفي ، وتميت وتحيي

لبثت الوفاً من السنين محجباً بحجب الاسرار ومستتراً بستر الألغاز ،
فاقتفى البشرُ آثارك في البيد والقفار ، وتتبعوا مسيرك في الصحارى والرمال ،
وناجوك كما ناجوا كل اله سواك ليعلموا من أنت وما انت وهم يحسبون
الآن انهم قد كشفوا سرك واوضحوا أمرك — أيخترقون احشاء الارض؟
أيشقون الاطواد الراسيات بعضها بجانب بعض ؟ انهم لمقصرون عن ذلك
تقصيراً ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً

تسير في عقيقك الفخيم العجيب ، كما تسير الآلهة في طرقها ، لا
تلتفت يمنة ولا يسرة — تضحك من ابناء آدم وعلومهم وافراحهم واتراحهم
وبخارهم وكهربائيتهم كما يضحك منهم « جوبتير » من نوافذ « أولمبس »

الانسان ابن امس أما انت فكائن منذ الازل وستبقى الى الابد ؛
عبدوك لان لك نفعاً يرجى وضرًّا يخشى كسواك من الآلهة الاخرى
عبدناك وقد عبدنا قبلك الفلكَ الدائر ، والنجمَ السائر ، والهواء
والسحاب ، والجو والضباب ، والشموس والاقمار ، والاحراج والاشجار ،
والطيور في اوكارها ، والاسماك في بحارها والوحوش في اوجارها
عبدنا من قبلك الخنافس والثيران ، والجبل والبركان والهوام
والحشرات ، والاصلال والحيات ، وكل ما سبح في الهواء ، وغاص في
الماء ، ودب على الغبراء ،

ولما لم تبقَ مادة في هـذا الكون الذي لا تحيط به العقول ، وليس
الى معرفة كنهه من وصول خلقنا من الوهم اكواناً جديدة وقوى عديدة
واتخذناها الهاً ومعبوداً ، نخر لها ركعاً وسجودا .

عبدنا آلهة نصفها بشر ونصفها انسان ومخلوقات رأسها اله وجسمها حيوان

ولما لم تكفنا كل هذه الآلهة وهي الكون باسره والوهم بجملته عبدنا الرذائل والارواح ، والشياطين والاشباح ، وعقدنا محالفات مع ابالسة جهنم لنقوى بها على سلطة الاله الاحد والفرد الصمد

فلماذا لا نعبدك انت أيضاً أيها النيل السائر وسطنا بجلال يسحر العقول ، وسر يدعو الى الحيرة والذهول ، الجاري امامنا في منسبط الغبراء ، كما تجري الآلهة في منبسط السماء والمجرة في عقيق الفضاء

* * *

بيدانا قد انتقلنا الآن من عبادة الاوثان ، ووحّدنا الآلهة والاديان وجعلنا الهنا الاحد ديناراً ، واتخذناه لديننا شعاراً ، هذا النقد ذو الوجهين نظيرنا هو هو الهنا ومعبودنا ، نتبارى الى مسجده ، ونتجارى الى معبده

ولكن أليست مياهك انت يا الهَ الخير والصلاح ومصدر الحياة والفلاح هي التي حولت نضرة مصر نضاراً ، وتربتها تبرا ؛ ألست أنت الذي خلقَ هذا الالهَ الذي تعبده أمم الارض طراً وتعفر وجهها امامه ليلاً ونهاراً ، فانت انت اذاً اله الالهة !

* * *

في قلبك اسرار مصر وفي احشائك الغاز كهنتها المنافقين ، وسحرتها المشعوذين ، وفيك حديث ملوكها وغرائب اهرامها ، وعجائب هيا كلها ، وفنون بنائها وضروب رسومها وسر موسيقاتها

دفن في جوفك مجد مصر المؤثل وشرفها الباذخ ومدنيتها القديمة التي وقف العالم أمامها مدهوشاً والتي تحج اليها عظماء الارض وامراؤها وملوكها لتشاهد آثارها فلا ترى الا اطلالاً دارسة وانقاضاً متردمة وهياكل ينعب البوم في خرائبها ومدافن تحوم الغربان حول مواضعها ، يحدق العالم فيها ويستنطق آثارها ويستفسر اسرارها ويجلو عن وجهها الصبوح حجب الخفاء والابهام ، فلا تنطق بحرف ولا تبوح بكلمة بل تنظر اليه شاخصة شخوص ابي الهول في الفضاء واصنام الالهة في الصحراء !

من يقدر في العالم ان يزيح اللثام عن محيا الالاهة « ايزيس » التي هي رمز الطبيعة وقد نُقش على تمثالها ابلغ ما نقشته يدٌ على حجر « انا هو ما كان وما هو كائن وما سيكون وليس لبشر ان يحسر لثام الابهام عن محياي ! »

* * *

في أحشائك اسرار هذا الكائن العجيب الذي نسميه بشراً والذي توارت اخباره طي الخفاء والكتمان . ألم تتبسم يا اله مصر يوم مست يدُ الانسان الاول مياهك المقدسة . هلا فقهت حينئذٍ ان هذا الوحش الغريب الذي نفتش الآن عن حلقته المفقودة سوف يصير الهاً نظيرك ؟

شاد على ضفافك عروشاً باذخة ودولاً كبيرة ومدائن غناء ، وبنى لنفسه صرحاً من المجد كان معجزة الاولين واعجوبة الآخرين ، ثم ضاقت احشاؤك بمجده فجر جيوشه وجحافله واجتاح الارض براً وبحراً ودوخ الممالك شرقاً وغرباً ، ودوى العالم بحديث جرأته وتجاوب الجو بصدى

انتصاراته وبسط ظل مجده على أقاليم المعمور ونقش اسمه في صفيحة الكون بين اسماء الآلهة بجانب اسمك لانه ابنك وثمرة احشائك

***

بيدانه اله فانٍ كجميع مصنوعاته اما انت يا من هو صنع الالاهة « ايزيس » فانك شطر منها كنت وكائن وستكون وليس لبشر ان يزيح لثام الابهام عن محياك

تكونتَ من مياه الارض التي تنعقد سحاباً في الجو وتنزل دموعاً كاللؤلؤ على قنن الجبال ، وتتفجر بحاراً في جوف الارض تجري الى اليم من حيث ولدت

انك منذ الازل وسوف تبقى الى الابد وليس لملكك انقضاء — سيأتي زمن ينقطع فيه صفير البخار الذي يهزُّ أمواجك ، وتنطفئ شموس الكهربائية التي تنير وجهك ، وتندك هذه البنايات الشامخة القائمة على ضفافك ، وتصمت آلات الطرب واناشيد الغناء على شواطئك ، وينقرض هذا الاله الصغير الذي يطاول مجدك مع اهرامه وهيا كله وبواخره وآلاته ومدنه . ومدنيته ليست هي الا ألاعيب صبيانية تزول كما يزول اللاعبون بها وتبقى انت وحدك جارياً في طريقك الابدية ، كما تجري الآلهة في السماء والمجرة في عقيق الفضاء

***

تعود حينئذٍ الى جمالك الطبيعي الذي ورثته من « ايزيس » يوم ولدتك منذ بدء العالم تجري وسط هذا السكون الابدي بعد ان تكون قد

قطعت هذا السد الصبياني الذي وضعه الانسان حاجزاً في طريقك ، كما يقطع الجبار خيطاً من القنب يشده طفل الى ذراعيه

تجري بسكون وصمت ، وتسير بجمال وجلال ، كما انتَ سائرٌ الآن غير مبال بهذا الاله الصغير الذي يجهل سر الآلهة — لا تنبت على ضفافك شجرة معرفة الخير والشر لئلا يأكل منها ويحيا الى الابد فيملأ بلادك هياكل وآلهة وجوك لغطاً وصخباً وشواطئك إثماً وفجوراً كما هو فاعلٌ الآن

تجري حينئذٍ بسكون وصمت ، وتسير بجمال وجلال ، لانك جميل وكل ما حولك جميل من سهول منبسطة وجبال راسية واشجار باسقة وزهور باسمة — تنظر السماء اليك وتنظر اليها وهي كأنها رقعة من زمرد مرصعة بالماس ، تتلألأ دراريها وتتألق انوارها

اذا كانت شجرة معرفة الخير والشر موجودة الآن على ضفافك فاجرفها الى قلب البحر واعماق الاوقيانس لان هذا الآله الصغير الساحر الذي هو بجانبك ، اذا صار الهاً خالداً ، أفسد الارض والجو وشوّش نظام ايزيس واستأثر بالقوة والسلطان واقلق راحته وراحة الاكوان

* * *

ذهب هذا الاله الصغير امس الى ضفافك ليعبدك كما كانت تعبدك اجداده وجاء بالسفينة التي كانت اسلافه تضع فيها عروسك لتقدمها ضحية لك لانه حسبك كنفسه تحب الانتقام وتصبو الى الضحايا

جاء اليك على نغمات العود والقيثارة والمُزمار واصوات الغناء واناشيد السرور كما كان يجيء قديماً منذ الوف من السنين . واذا كان لم يأتِ بفتاة

يقدمها ضحية لك فذلك ليس لانه قد عرفك الان الهاً تحب الخير وتصبو الى الصلاح بل لانه قد اصبح اشد حباً لذاته واكثر استئثاراً من ذي قبل لحفظ الفتاة لنفسه – انه غبي جاهل ولا يزال يصنع الهة اخرى على صورته ومثاله !

هذا وفاؤك ايها النيل فسر في طريقك الابدية وسبيلك الخالد كما تسير الآلهة في السماء والمجرة في عقيق الفضاء

الدكتور سعاده

وهذا نصُّ الحجة التي تكتب سنوياً في الاحتفال بوفاء النيل بحضور فضيلة مفتي الديار المصرية والعلماء والاعيان :

في ليلة كذا الموافق كذا سنة كذا قبطية في المجلس المنعقد بالصيوان المنصوب برأس الخليج الحاكمي بمصر المحروسة لدى . . . . بحضر كلٍّ من . . . وحضرات الاساتذة . . . وحضرات . . . من اعيان مصر وغيرهم من الفضلاء والوجوه قد تحقق وفاء النيل المبارك بأن بلغ في يوم كذا المرقوم السابق لهذه الليلة كذا ذراعاً وكذا قيراطاً من الذراع المعتاد بمقياس الروضة في القاهرة . وذلك من فيض الله واحسانه وتكرّمهِ ، ورأفةً بعباده ، وقد انشرحت بذلك الصدور وطلب الجميع من المولى الغفور ان يجعلَ النفعَ به عاماً ، ويديم السرور . وقد وجب الخراج على ارباب الاطيان واداء الاموال والمرتبات لجهة الخزينة العامرة حكمَ المعتاد ، والحمد لله على منتهِ ، والمرجو من فيض فضلهِ ان يجرينا على عوائدهِ واحسانهِ ، انهُ وليُّ ذلك والقادر عليه ، وفي يده مقادير كلِّ شيء وكلُّ شيء راجعٌ اليه

والنخلُ كالغيدِ الحسانِ تزينت ولبسنَ من أثمارهنَّ قلايدا

ظافر الحداد



النخل على النيل

وللنخيلِ منظرٌ مهيبُ تراعُ في جمالهِ القلوبُ

فوق الضفافِ ظلُّها رهيبُ صفاً بصفٍ زانها الترتيبُ

من كل جبّارٍ عظيمِ القدرِ

تحسبها مَرَدةً طوالا تحتَ مظلاتٍ زهتْ جمالا

في النيلِ جاءت تبتغي اغتسالا سحرها النيلُ فلن تزالا

واقفةً هنا بفعلِ السحرِ

الياس فياض

١ — الجزيرة

جزيرة مصرٍ لا عدَتكِ مسرةٌ ولا زالتِ اللذاتُ فيكِ اتصالها
فكم فيكِ من شمسٍ على غصن قامةٍ يميتُ ويحيي هجرُها ووصالها

شاعر عربي

٢ — ليالي الجزيرة

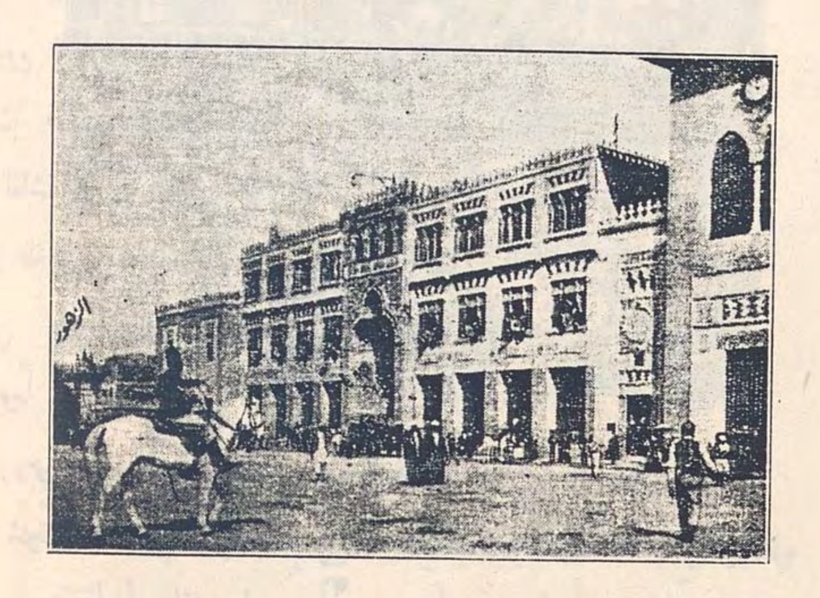
انا في الحبِّ صاحبُ المُعجزاتِ جئتُ للعاشقينَ بالآياتِ
كان اهلُ الغرامِ قبلي أُميـ ـين حتى تلقنوا كلماتي
فانا اليومَ صاحبُ الوقت حقـاً والمحبُّون شيعتي ودُعاتي
ضربت فيهم طبولي وسارت خافقاتٍ عليهم راياتي . . .
فعلى العاشقين مني سلامٌ جاءَ مثل السلام في الصلواتِ
يعشق الغصنَ ذا الرشاقةِ قلبي ويحبُّ الغزالَ ذا اللفتاتِ
ياحبيبي وانتَ ايُّ حبيبٍ لا قضى اللهُ بيننا بشتاتِ
ان يوماً تراكَ عيني فيهِ ذاك يومٌ مضاعفُ البركاتِ
انت روحي وقد تملكت روحي وحياتي وقد سلبتَ حياتي
متُّ شوقاً فأحيني بوصالٍ اُخبرِ الناس كيفَ طعمُ المماتِ

***

فرعى اللهُ عهدَ مصرٍ وحيّاً مامضى لي بمصرَ من اوقاتِ
حبذا النيل والمراكبُ فيه مصعداتٍ بنا ومنحدراتِ
هاتِ زدني من الحديث عن النيـــلِ ودعني من دجلةٍ وفراتِ
وليالِيّ « بالجزيرة » و« الجيـــزةِ » فيما اشتهيتُ من لذاتي

بين روضٍ حكى ظهور الطواويـــسِ وجوٍّ حكى بطونَ البُزاةِ
حيثُ مجرى «الخليج» كالحيةِ الرقـــطاء بين الرياضِ والجناتِ
ونديم كما نحبُّ ظريف وعلى كلِّ ما نُحبُّ مواتي
كل شيء اردتهُ فهو فيه حسن الذاتِ كامل الادواتِ
يا زماني الذي مضى يا زماني لك مني تواترُ الزفراتِ

بهاء الدين زهير



محطة مصر

لما انشئت محطة القاهرة الكبرى اقترحت الحكومة المصرية على الشعراء نظم ابيات ترسم على جدران المحطة ، وجعلت جائزةً للذي يحرز قصب السبق ، فنال الافضلية فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحدّاد . واليك الابيات التي يراها المسافر منقوشة على باب المحطة :

يا حسن عصرٍ بعباسِ العلى ابتسما   حتى الحديدُ غدا ثغراً له وفما
طرائق في ضواحي القطرِ تبلغنا   اقصى البلادِ ولم ننقلْ بها قَدَما
مصر" كصفحةِ قرطاسٍ بتربتهـا   غدا القطارُ عليها الخطَّ والقلما
ارض" بها كان خصب النيلِ منتثرًا   حتى اتاها قطار النار فانتظما
لنا غنى عن قطار السحبِ منسجماً   ولا غنى عن قطارِ النار مضطرما
يجري بها الرزقُ في جسمِ البلادِ كما   يجري دم" في عروق الجسم منتظما
محطةٌ هي قلبٌ والخطوطُ بَدَت   مثلَ الشرايين فيها والقطارُ دما
مع السلامةِ يا من سارَ مرتحلاً   عنا واهلاً وسهلاً بالذي قدما

نجيب الحداد

الازبكية

كما وصفها المرحوم الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر المتوفي سنة ١٢٥٠هـ.

واما بركةُ الازبكية فهي مسكنُ الامراء ، وموطنُ الرؤساء ، قد أحدقت بها البساتينُ الوارفةُ الظلال ، العديمةُ المثال ، فترى الخضرةَ في خلالِ تلك القصورِ المبيضة ، كثياب سندس خضر على اثوابٍ من فضة ، يُوقد بها كثير من السرجِ والشموع ، فالانسُ بها غيرُ مقطوعٍ ولا ممنوع ، وجمالها يُدخلُ على القلبِ السرور ، ويذهل العقل حتى كأنهُ من النشوةِ مخمور ، ولطالما مضت لي بالمسرة فيها ايام" وليالي ، هنَّ في سمطِ الايامِ من يتيم اللآلي ، وانا انظرُ الى انطباع صورة البدر في وجناتها ، وفيضان لُجَين نورهِ على حافاتها وساحاتها ، والنسيم بأذيال ثوب مائها الفضي لعاب ،

وقد سلّ على حافاتها من تلاعب الامواج كل قرضاب ، وقامت على منابر أدواحها ، في ساحة افراحها ، مغردات الطيور ، وجالباتُ السرور ، ولذيذ العيش بها موصول ، وفيها اقول :

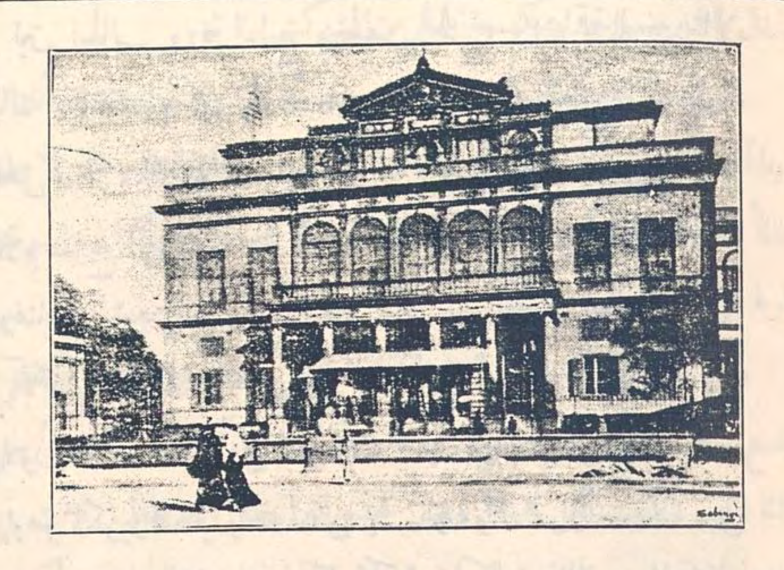
بالأزبكية طابت لي مسراتُ　　ولذّ لي من بديعِ الانس اوقاتُ
حيثُ المياهُ بها والفُلكُ سابحةٌ　　كأنها الزهرُ تحويها السماواتُ
وقد أُديرَ بها دورٌ مشيدةٌ　　كأنها لبدورِ الحسنِ هالاتُ
مدّت عليها الروابي خضرَ سندسِها　　وغرّدتْ في نواحيها حماماتُ
والماءُ حين سرى رطبَ النسيم به　　وحلّ فيهِ من الادواحِ زهراتُ
كسابغات دروع فوقها نقطٌ　　من فضةٍ واحمرار الورد طعناتُ
مراتعٌ لظباءِ التركِ ساحتها　　وللاسودِ بها فيهنّ غيضاتُ
وللنديمِ بها عيشٌ تجدّدهُ　　ايدي الزمانِ ولا تخشى جناياتُ
يروحُ منها صريع العقل حين يرى　　على محاسنها دارتْ زجاجاتُ
وللرفاقِ بها جمعٌ ومفترقٌ　　لما غدت وهي للندمان حاناتُ

الشيخ حسن العطار

الاوبرا

وقرب حديقة الازبكية قامت الاوبرا الخديوية ، أنشأها المغفور له الخديوي اسماعيل باشا وأول رواية مُثّلت فيها رواية « عائدة » لفردي الشهير

وقد حضرتها الامبراطورة اوجيني قرينة نابوليون الثالث :



الاوبرا

وصف مصر

في منتصف القرن الغابر زار مصر الكاتب الشهير فارس الشدياق وكتب عنها فصلين ضافيين نشرهما في كتابه « الساق على الساق في ما هو الفارياق » المطبوع في باريس سنة ١٨٥٥ م و ١٢٧٠ ه على نفقة المرحوم رافائيل كحلا الدمشقي . وعنهما نلخص ما يأتي . وسيرى القارئ ان اكثر هذه الملاحظات لا يزال منطبقاً على ايامنا هذه . قال :

مصر بلد الخير ، ومعدن الفضل والكرم ، اهلها ذوو لطفٍ وادبٍ واحسان الى الغريب ، وفي كلامهم من الرقة ما يُغني الحزينَ عن التطريب . اذا حيّوك فقد احيوك ، وان سلّموا عليك فقد سلّموك . وان زاروك زادوك شوقاً الى رؤيتهم ، وان زرتهم فسحوا لك صدورهم فضلاً عن مجالسهم . اما علماؤها فان مدحهم قد انتشر في الآفاق ، وفاتَ فخرَ من سواهم وفاق ،

بهم من لين الجانب ورقة الطبع وخفض الجناح وبشاشة الوجه. ما لا يمكن المبالغةُ في اطرائهِ ... وكأنَّ حسن الخُلق ورقة الطبع امرٌ مركوز في جميع اهل مصر، فان لعامتهم ايضاً مخالقة ومجاملة. وكلهم فصيح اللهجة بيّنُ الكلام سريع الجواب، حلو المفاكهة والمطارحة. وكلهم يُحبُّ السماع واللهو، وغناؤهم اشجى ما يكون، فلا يمكن لمن الفه ان يطرب بغيره، وكذلك آلاتهم فانها تكاد تنطق عن العازف بها. ولهم في ضرب العود طرقٌ وفنون تكاد تكون من المغيّبات، غير اني اذم من غنائهم شيئاً واحداً، وهو تكرير لفظةٍ واحدة من بيت او موّال مراراً متعددة حتى تفقدَ السامعُ لذةَ معنى الكلام. ولكن اكثر ما يكون ذلك من المتطفلين على الفن. وبعكس ذلك طريقة اهل تونس فان غناءهم اشبه بالترتيل، وهم يزعمون انها كانت طريقة العرب في الاندلس ...

اما دولة مصر اذ ذاك فانها كانت في الذروة العليا من الابهة والعز والفخر والكرم والمجد، فكان للمتسمين بخدمتها مرتب عظيم من المال والكسى والشِحن مما لم يُعهد في دولة غيرها ...

ومع عظم ما كان يكسبه التجّار واصحاب الحِرَف، وما يناله اهل الوظائف من الرزق العميم كانتِ الاسعار في مصر رخيصةً جداً. فلهذا كنتَ ترى الناس قُصريّهم وعميّهم مقبلين على الشغل واللهو معاً. فالبساتين غاصة باهل الخلاعةِ والقصوف، ومحال القهوة مجمعٌ الاحباب، والاعراس مسموع فيها الغناء وآلاتُ الطربِ من كل طرف. والرجال يخطرون بالخز والديباج، والنساء ينوءنَ بما عليهنّ من الحلي والخيل

والبغال والحمير مسرجة ومكسوة بالحرير المزركش . . .

والغريبُ يجدُ في مصر ملهى وسكناً ، وينسى عندها اهلاً ووطناً . . . ومن خواصها ان اسواقها لا تشبه رجالها البتة . فان لاهلها لطافةً وظرافةً ، وادباً وكياسة ، وشمائل مرضية ، واخلاقاً زكية . واسواقها عارية عن ذلك راساً

ومن خواصها ايضاً ان البرنيطةَ فيها تنمى وتعظم . وتغلظ وتضخم ، وتتسع وتطول ، وتعرض وتعمق . . . وكثيراً ما كنتُ اتعجبُ من ذلك واقول : كيف انمى هواءُ مصر هذه البرانيطة وقد طالما كانت في بلادها لا تساوي قارورة الفراش . ولا توازن ناقورة الفرَاش . وكيف كانت هناك كالترب ، فاصبحت هنا كالتبر . . . ياهواءَ مصر يا نارَها يا ماءَها يا ترابها صيّري طربوشي هذا برنيطةً ، وان يكن احسن منها عند الله والناس فلم يغنِ عني النداء شيئاً وبقي رأسي مطربشاً ، وطرف دَهري مطرفشاً

ومن خصائصها ايضاً ان البغاثَ بها يستنسر والذباب يستصقر ، والناقة تستبعر ، والجحش يستمهر ، والهرّ يستنمر ، بشرط ان تكون هذه الحيوانات مجلوبة اليها من بلاد بعيدة		فارس الشدياق



نابوليون بونابرت

« في مصر »

... واتى النسرُ ينهبُ الارضَ نهباً　حولهُ قومهُ النسورُ ظماءُ
يشتهي النيلَ ان يشيدَ عليه　دولةً عرضُها الثرى والسماءُ
حلمت رومة بها في الليالي　ورآها القياصرُ الاقوياءُ
فأتت مصرَ رسلُهم تتوالى　وترامت سودانها العلماءُ [1]
ولو استشهد الفرنسيسُ روما　لاتتهم من رومة الانباءُ
قاهرُ العصر والممالك نابليونُ ولت قوّادُهُ الكبراءُ
جاءَ طيشاً وراح طيشاً ومن قبلُ　اطاشت أُناسها العلياءُ
سكتت عنهُ يومَ عيرها الاهرامُ لكن سكوتها استهزاءُ [2]
فهي توحي اليه ان تلك « واترلو » [3]　فاين الجيوش اين اللواءُ

شوقي

---

(١) رافقت الحملة الفرنسوية بعثة علمية لدرس آثار مصر وهو العلم المعروف عند الافرنج باسم Egyptologie

(٢) يشير الى قول نابوليون بونابرت « ايها الجنود ان اربعين قرناً تشخص اليكم من اعلى هذه الاهرام .. ! » وكان ذلك قبل انتصاره على المماليك سنة ١٧٩٨

(٣) Waterloo هي الموقعة الشهيرة التي انكسر فيها نابوليون في ١٨ يونيو (حزيران) سنة ١٨١٥



سوريا

ما بين اسيا الصغرى للشمال ، والفرات والبادية للشرق ، وقسم من بلاد العرب للجنوب ، وبحر الروم للغرب تمتدُّ سوريا بسلسلة جبالهـا متدرجةً من الغرب حتى تنتهي على بحر الروم ، وممتدةً من الشرق حتى تلامسَ نهرَ الفرات عند شماله ورمال صحراء الشام عند جنوبه . وهذه السلسلة التي تمتد بطولها من اسيا الصغرى حتى بلاد العرب ، من طورس الفاصل حتى الصحراء الجافة ، تظهر للناظر باغرب حركات الطبيعة واجملِ اتساقها ، فهي تحاذي خليج اسكندرونة حتى انطاكية ، ثم تتجـه نحو الجنوب الشرقي حتي بَعَلَبَكَّ ، ومن هنالك تتقطع بتلالٍ متتابعـة وتمدُّ ذراعيها لتصافحَ بحر الروم بجبلي لبنان والانتي لبنان

ومن قرب الشاطئ تمدُّ جناحاً كبيراً ينتهي بالكرمل الواقف عمودياً على صفحةِ الماء ، ثم ترتفع على مشهدٍ منه قمة الطور لتسود التلالَ العديدة الواقفة بعلوٍّ متدرج حتى تصل نقطة اختفائهـا على الارض القاحلة ، على الرمال المحرقة ، على الصحراء

تلك هي سوريا وفيها حلب ودمشق و بيروت واورشليم : المدائن الاربع التي تقف كالعواصم لما حولها ، وعليها مدار النظر في مستقبل سوريا وحياتها . وهذه البلاد العزيزة التي رأينا فيها نور الحياة وشاهدنا على قممها

نور الدستور لهي اكثر بلاد الدولة استعداداً للمستقبل المجيـد ، اذا كان اهلها كارضها وقلوبهم كانهارها

هذه البلاد التي تخط بجبليها الكبيرين اثلامَ الاودية العميقة وتطوّقُ السهولَ لترسلُ اليها ماءَ الحياة ، هذه البلاد تجمع بوحدتها من انواع الاراضي ما لا تملكه البلدان العديدة بتفرقها على كل الاقاليم

. . . هنالك سهولُ الحر وهنا جبال القر ، هنالك السفوح المعتدلة وهنا القمم الناطحة اطراف الغيوم . فارضنا منبت كل ما يجتمع من الطبيعة في مملكة النبات ، وكل ما تطلب الالفة الكاملة من انواع العقول واستعداد الاجسام . فاذا اوجدت لنا السهولُ رجالَ القناعـة والعمل ، دفعت لنا الجبالُ بسيلٍ عرِمٍ من اهل الفكر والاطماع ، وقدمت لنا الاوساطُ جيشاً من بني القناعة وصفاء الذهن . لنا السنديان والكرم والازهار . لنا القوة والفائدة والجمال

. . . هذه سوريا التي نراهـا مملوءة من عناية الله لا نكاد نقلب صفحةً من تاريخها ما لم نجد عليها لطخة سوداء نفثها الانسان من مظالمه ومن اطماعه . هذه للبلاد الجميلة كانت منذ البدء ارضُ الميعاد لكل شعبٍ وكل شعب فيهـا يئن مظلوماً كأَنه منفيٌّ غريب في وادي الدموع . كل عنصر كان يظهر على الارض لم يتوارَ من صفحـة الوجود ، قبل مروره بسوريا ، وابقائهِ فيها اثراً شقياً

كل قافلة من رجل الانسانية تركت على ارض سوريا تائهـاً ، وكل معسكر غاز ترك بقية متمردة ، وكل حاكم فيها ابقى عليها سلالة تطمح الى

الحكم ، وهكذا لا تمرُّ ابصارُنا هنيهةً على ارضها ما لم نجدْ في اصغر اقسامها خليطَ اليهود والعجم واليونان والروم والافرنج والعرب . وفيهم الظالم والمظلوم ، المستبدُّ والملتجي ، العناصر الباكية والعناصر الضاحكة ، والاقوام التي تتعصب وتضرب والاقوام التي تتعصب وتحمل الويل . فيهم التركي والعربي البدوي ، النصراني والدرزي ، السني والمتوالي ، السامري والكابي واليزيدي وكلُّ هذه العناصر تظهر للمفكّر كمزيجٍ هائل من الخير والشر ، من التسامح والجور ، من الاخلاص والكذب ، من الشهامة والدناءة . من الايمان بالله والكفر به

. . . كيفما قلّبتَ النظرَ في هذه البلاد العزيزة ، تجد آثارَ الجور وبقايا الحروب القومية الدينية ، سرّحْ ابصارك على شاطيء بحر الروم من صيدا الى يافا الى اورشليم ، وقفْ قليلاً على اطلال اليهودية القديمة ، واتبع حدودَ البلاد حتى بلادِ العرب وآسيا الصغرى حتى بريةِ الشام وارض حلب ، فلا تتجاوز ابصارُك هذه الاماكن قبلَ ان تمتلئَ من مشاهد الخرائب والاطلال في كل مكان دلالةً على الجهل وترفُّع الانسان عن ان يكون اخا الانسان : لقد شاهدتْ « صور » اول تجارة تجارية وفتحت موانيها يد الاجتهاد فهدمتها ايدي المظالم . وبنى اليونان مرافيء لوقاية المراكب فالقتها الحكومةُ البائدة في اللجج . وكانت باديةُ الشام جناتِ البلاد وذخر الخلفاء فاصبحت ارجاء يأوي اليها المتشردون منذ القرن السادس عشر حتى اليوم . صور وصيدا تلك الاماكن التي انبثقت منها تجارة العالم لم يبقَ من اهلها غيرُ ذكرٍ مظلم يكاد يكونُ الحلقةَ

المفقودة لتمدن الانسانية . انطاكية وحمص والرملة وكل هذه المدن القديمة قد اصبحت طللاً يبني فوقه المظلومون اكواخهم ويتوه على رماده بنو الفقر والشقاء

. . . من جعل هذه الارجاء المملوءة بمبادئ الامجاد عفراً تترفع عنه الارجل ومتهدمات ينعق فيها البوم ؟ من هوى بذلك المجد غير الحروب تلك الآفة الهائلة التي تتولد من الاطماع والتعصب والجهل ، ولا تموت الاّ على اطلال القصور أو فوق قبر ظالم او عند الرماد الذي يغطي الشعوب المنقرضة

واي زمان خلت فيه سوريا من طامع يستثمرها او سفّاح يقودُ ابناءها بالسياط وبالسيف ؟ من تحت حكم الجمهوريات الرومانية الى حكم قناصلها الى جور الاسكندر واحكام بومباي ، ومن تسلُّط السلجوقيين الى عصا امبراطرة الغرب الحديدية ، ومن العرب الى يد الافرنج دُفعت شعوب سوريا كالعبيد وسيقت كالنعاج ، وهذه الارض المزهرة المثمرة استثمرها اليونان وهدمها العرب واستعبدها الافرنج . انها لبلاد تضم كلّ قوى الحياة هذه البلاد التاعسة التي ساطتها كل العصور وداست على قلبها كل الشعوب ولم تزل تتنفس وفي عروقها دم وفي صدرها حياة

لا يكاد يوجد مكان كسوريا تتجلى فيه عظمة الخالق في بدائع خلقه وضلال الانسان في آثار تعصبه وقساوته وضلاله . لا توجد بلاد حملت كسوريا استبداد الملوك العديدين وبربرية الجنود وعواصف الحروب . .

لقد تغير وجه سوريا مئة مرة منذ اثنتي عشر قرناً وتتابعت الحكومات العديدة على هذه البلاد ، وكل واحدة منها تدفع اقوامها شوطاً بعيداً عمن

تقدمها في سبيل المظالم والاستبداد

وقد كانت بلادنا محطاً لاعصار الشعوب من كل جهة ، من الشمال ومن الجنوب ، من قفر الرمال ومن قفر الثلوج ، من الحجاز ومن بلاد التتر وكل هولاء الاقوام لم يجتازوا سوريا الا وابقوا عليها أثر العنف ودلائل الدمار ..

(وبعد ان أتى الكاتب على ذكرِ الغزاة الفاتحين الذين اجتاحوا في سوريا قال) :

وفي العاشر من تموز سنة ١٣٢٤ جاءنا فاتح جديد بلا حملة ولا سيف. جاءتنا فتاة تركية بجناحها الذهبي وابتسامتها الخلابة لتجفف الدموع التي اسالها ابوها القاسي . ظهرت ابنة الترك لتضمد جراح سوريا وقد سبرت الاجيال قروحها الى اقصاها . او بالحري جاءتنا فتاة الحرية وهي ابنة العالم كله لا تنتسب لامةٍ ولا لشعب دون اخيه

جاءت محررة الانسانية من قيودها ومطلقة العناصر من اوهامها والاديان من تعصباتها

ملاكٌ في شماله غصنُ السلام ، في يمينه قبَسُ النور نشاهد على شعاعه ما اخفته عنا ظلمات القرون ، فلننظر الى مجاهل امراضنا نظرة الشجاع الى جراحه ، فان الحرية لا تشفي ولكنها تعطي العليلَ حرية الشفاء

فلیکس فارس



ـــــ﴿ بيروت ولبنان [1] ﴾ـــــ

وصلنا الى بيروت وهي من المدن السورية الآهلة بالسكان ، وقد عُرفت عند الاقدمين باسم « بيريت » وأصبحت على عهد اغسطس مستعمرةً رومانيةً وأطلق عليها الفاتح الروماني اسم « جوليا السعيدة Félix Julia » . وقد ميِّزت بهذه الصفة ، لخصب ضواحيها وفخامة موقعها ، وجمال جوّها العديم المثيل . والمدينة قائمة على رابية جميلة تنحدر شيئاً فشيئاً الى البحر وقد قامت فيه بعض صخورها فرُفعت عليها الحصون التركية . اما ميناؤها فهي كناية عن لسان ارض يمتد في البحر ويقي المراكب من الرياح الشرقية . وكلُّ هذه البقعة وما حواليها من الروابي مكللة بخضرة جميلة ، وترى شجر التوت قائماً على مدرجات من الارض . وشجر الخروب والتين والدلب والبرتقال والرمان تلقي ظلَّ اوراقها المختلفة الالوان على تلك الانحاء . ووراءها الزيتون ذو الورق الرمادي يزركش هذا المنظر الاخضر البديع . وعلى مسافة ميل من المدينة انتصبت سلسلة جبال لبنان وفيها الاخاديد التي يضيع فيها النظر . وتنحدر في طياتها مجاري الماء الى صور وصيدا او الى طرابلس واللاذقية . وقمم تلك الجبال المتفاوتة العلو تضيع في السحب البيضاء او تسطع من انعكاس اشعة الشمس فتشبه جبال الألب وثلوجها الابدية

---

(١) كتب هذه النبذة الشاعر الفرنسوي الشهير لامارتين في رحلته الى الشرق سنة ١٨٣٢



بيروت وجبل لبنان

ان ارز لبنان اشهر اثر طبيعي في العالم . تناولت شهرته الدين والعلم والتاريخ : فورد ذكره مراراً في التوراة ، وعمد الانبياء في تشبيهاتهم واستعاراتهم الى الارز ، ومن الارز اتخذ سليمان الخشب لبناء هيكل الاله الاحد . . .

الارز أقدم شاهد على الاعصر الخوالي ، بل ان هذه الشجرات تعرف التاريخ احسن مما يعرف التاريخ نفسه ولو كان يمكنها الكلام لروت لنا احاديث الحكومات والديانات والشعوب المنقرضة

وهل من هيكل اجمل من هذا الهيكل .. ! وهل من مذبح اقرب من السماء من هذا المذبح ؟ لقد اظلت تلك الاغصان الباسقة اجيالاً عديدة من الناس وكلها تسبح الله باسماء مختلفة وتعبده في مظاهره الطبيعية . وانا ايضاً صليت امام الارز . وكان الهواء يرتل بين الافنان ويتلاعب بشعري وينشف على جفوني دموع التأثر والاخبات

لامارتين

وقال لامارتين في غير هذا المكان من كتابه : لو اتيح لي ان ادبّر حياتي كما أُريد . لقضيت عمري صيفاً على قمم لبنان وشتاءً عند سفحه . وقد قال «الصمّة» الشاعر العربي مثل ذلك في نجد :

بنفسي تلك الارضُ ما اطيب الربى ... وما احسن المصطافَ والمتربعا

والمصطاف مكان الصيف والمتربع مكان الربيع



ارز لبنان

يا بني أُمي اذا حضرتْ ... ساعتي والطبُّ اسلمني

فاجعلوا في الارز مقبرتي ... وخذوا من ثلجه كفني

داود عمون

ذكرى لبنان

برزت تميس كخطرة النشوان هيفاء مخجلة غصون البان
تستعبد الحر الابي بمقلة دب الفتور بجفنها الوسنان...
لم أنس في قلبي صعود غرامها اذ نحن نصعد في ربى لبنان
حيث الرياض يهز عطف غصونها شدو الطيور باطرب الالحان
لبنان تفعل بالحياة جنانه فعل الزلال بغلة الظمآن
وترد غصن العيش بعد ذبوله غصناً يميد بفرعه الفينان
فكأن لبناناً عروس اذ غدا يزهو بنشر غدائر الاغصان
جبل سمت منه الفروع وأصله تحت البسيطة راسخ الاركان
تهفو الغصون به النهار وفي الدجى تهفو عليه ذوائب النيران
وترى النجوم على ذراه كأنها من فوقه درر على تيجان
لله لبنان الذي هضباته ضحكت مغازلة مع الوديان
يجري النسيم الغض بين رياضه مرخى الذيول معطر الاردان
لبست ربى لبنان ثوباً اخضراً وزهت بحيث الحسن احمر قان
نثر الربيع بهن زهراً مؤنقاً يزري بنظم قلائد العقيان
فبرزن من وشي الطبيعة بالحلى فكأنهن بحسنهن غوان
وكأن « صنيناً » اطل مراقباً يرنو لهن بمقلة الغيران

معروف الرصافي

شمالي لبنان

نقتطف عن رحلة الطبيب العالم الدكتور امين الجميّل الى تلك الانحاء الجميلة ما لا يضيق عنه نطاق هذه المجلة . قال :

بعين الطبيب وبأذنه فحصت هـذه البقعة الجميلة ، وبمداد الوطنية أسطر رسالتي . وكنت اود ان أُعطى موهبة الشعر ساعة من الزمن فقط ، لامثّلَ جمال لبنان للناظر اليه من الباخرة ، لان للشاعر وحده ان يشخّص لنا عظمة هذا الجبل الذي اقدامه في زرقة البحر ، ورأسه في زرقة السما ، جرودُه مغطاة بمنطقة ناصعة البياض من ثلوج الشتاء ، وسواحله تكسوها خضرة الليمون والبساتين . وبين ثلوج دائمة في الاعالي ، وربيع دائم في الساحل ، تلالٌ مشجرة ، ووديان مخصبة ، وقرى زاهرة ، واديارٌ عامرة . وفي كل مكانٍ منه شعبٌ نشيط عُرِف بسمو الذكاء ، كما اشتهر بكرم الاخلاق وشرف المبادىء وصدق العقائد ، في سوريا كما في مصر واوربا واميركا

ايّ نوع من الجمال بخلت بهِ الطبيعة على لبنان العزيز ؟ وقد جمعت فيه انواع الحيوانات البرية والبحرية ، والنباتات والازهار من الأرز حتى الليمون والبلح ، والمناخات كلهـا من الحار الى البارد ، ومن الرطب الى الجاف ، والهواء النقي والمياه العذبة والمناظر العجيبة ، فجرودُه بديعة للاصطياف ، وسواحله عجيبة للاشتاء ، وبين هذه وتلك مسافة ساعتين فقط . . !

فما اكرم الطبيعة علينا وما ابخلنا عليها

وقد كانت الذاكرة تنتقل بنا الى الايام التاريخية ، ايام عزّ « جُبيل » ومتاجرة الفينيقيين ومرور ملوك الاشوريين واعمال الرومانيين أو الصليبيين الخ الخ عند ما كنا نمر امام النقط والاماكن التي فيها هذه الآثار العظيمة كنهر الكلب ونهر ابرهيم والمعاملتين والبلمند

. . . سلكنا طريق زغرتا ، فمررنا بجانب حدائق طرابلس الغناء ، ذات الدخل العظيم ، ثم ارتقينا اعلى المدينة ووصلنا الى لبنان . وكل هذه الاراضي ذات خصب عجيب لانها جمعت كل ما يلزم للنبات : تربة جيدة وحرارة قوية ومياه غزيرة . وهناك ترى من أهم واجمل ما يوجد من الزيتون

ولم نلبث ان وصلنا الى « زغرتا » القائمة على تلّ لطيف تحيط بها سهول ووديان ذات تربة كلها خصب وآخر ما يمتد اليه الطرف جبال قريبة مشجرة واعلاها يغطيه الثلج

وقد نشأ من الزغرتاويين رجالٌ عظام منهم البطريرك جرجس عميره واسطفان الدويهي وجبرائيل الصهيوني ويوسف بك كرم الشهير

ويمرّ بهذه البلدة نهر « رشعين » ومياهه تفيض الخيرات على بساتين زغرتا وحدائقها

وبالاختصار ان الطبيعة دللت كثيراً اهالي زغرتا ، وبعكس ما ينتجه الدلال ترى الزغرتاويين ابطالاً وابناء ابطال واباء ابطال : امس واليوم وغداً . . .

. . . اين واحسرتاه ! فرسان اللبنانيين ؟ اين شجاعة رجالنا اين حماستهم في الحروب وشهرتهم في الوغى . اين اقدامهم على العظائم ؟ اذا

أعلنت حربٌ على المملكة ، اين اسود لبنان ؟ وان اراد عدوٌّ مهاجمة لبنان والاعتداء على امتيازه وحقوقهِ فمن هم حماته

ومن لا يذُدْ عن حوضهِ بسلاحه　　　يهدّم ومن لا يتقِ الشتمَ يُشتمِ

فلو قام « ابو سمرا » او « الشنتيري » من القبر فاين هم الابطال الذين كانوا يقتحمون معهم اهوال دفاع شريف . فانه لم يبقَ عندنا جماعة مدربة مستعدة الا في زغرتا وفي بعض البقع الدرزية

. . . ولا يتوهمنَّ السامع ان الشجاعة تنفي رقة الشعور ، ولطف الحاسات « فقلب الاب الحقيقي هو حقاً قلب اسد » وقد تحققت ذلك أيضاً في زغرتا ؛ فان هؤلاء الرجال والنساء الذين يقال عنهم « سواعد من حديد قلوب حديد رجال من حديد » هم احنّ الناس على الاولاد واكثرهم عطفاً على المرضى . ولم ارَ في البلاد ذكر الموتى مكرماً ومحبوباً اكثر منه في هذه البقعة حتى كدنا نقول انهم يكرمون الموتى الى درجة تقتل الاحياء . . .　　　　الدكتور امين الجميل

قال المتنبي :

احبُّ حمصاً الى خُناصرةٍ　　　وكلُّ نفسٍ تحبُّ محياها

حيث التقى خدُّها وتفاح لبـ　　　ـنان وثغري على حميّاها

صنّين

جبلٌ يناجي في العلوّ الهَهُ ويُعيدُ صوتُ نسيمِهِ التلحينا

يا حبذا النبعُ المبرّدُ سفحَهُ فكأنهُ الالماسُ سال مصونا

سفحٌ تدفق ماؤهُ مترقرقاً بين الحصى اكرِمْ بذاك معينا

فترى المياه خفيفةً في جريها وحصى العقيقِ لدى المياه رزينا

وهضابهُ الشماءُ يجثو هامها لخريره وتخالُ ذاك أنينا

كم من مليكٍ قد أقام بجيشهِ فجنى ثمارَ النصرِ منهُ مبينا

ولكم عليلٍ في رباه قد شفي داءً ألمّ بهِ وكان دفينا

وبقربهِ الآثارُ تنبئُ أنهُ طحنَ النوائبَ كالدهور طحينا

حيثُ المعابدُ للفنيقيين قد دُرِستْ وزانتْ سفحهُ تزيينا

والشمسُ مُذْ جنحت لمغربها بدتْ جاماً لغرفِ البحرِ جاءَ معينا

بعثَ الضبابَ البحرُ يجري صاعداً جريَ المياهِ اليهِ حيناً حينا

فكأنَّ ذاكَ الحزنَ سهلٌ أفيحٌ من بعد ما كان السهولُ حزونا

اكرِمْ بهاتيك المناظرِ أنها حنّتْ لها كلُّ القلوبِ حنينا

من كان يشتمُّ العلوَّ فقلْ لهُ حبُّ المواطن قد دعوهُ دينا

جاريتُ نظمَ ابن الحسين بوصفهِ وذكرتُ سيفَ الدولة المدفونا [1]

واذا صعدتَ عليهِ اعلى قمةٍ نلتَ الجنانَ وحزتَ عليينا

عيسى اسكندر المعلوف

---

(١) إشارة الى مغارة كبيرة قرب صنين تسمى بمغارة سيف الدولة حتى عهدنا هذا . والمراد بابن الحسين المتنبئ الشاعر المشهور

ـــه طرابلس الشام ـــه

في سنة ١١١٢ هجرية اي منذ مائتين وعشرين سنة تقريباً زار الشيخ عبد الغني النابلسي مدينة طرابلس

والشيخ عبد الغني هـذا مفخرة من مفاخر دمشق الشام وواسطة العقد الذي ينتظم علماءها الاعلام :

كان رحمه الله عالماً فقيهاً اصولياً صوفياً اديباً شاعراً وهو مشهور بالولاية وله قدم وذوق في علم الاحوال . وقد ألف في معظم فنون زمانه حتى فن الفلاحة والزراعة . فـلا غرو اذا احتفل به اهل طرابلس الاحتفال اللائق بعلمه وفضله وشهرته التي ملأت الخافقين

وكان سبب زيارته طرابلس دعوة من حاكمها اذ ذاك أرسلان محمد باشا « قصداً للنفع العام »

تولى ارسلان محمد باشا الحـكم في طرابلس بعـد سقوط اسرة آل سيفا الشهيرة في تاريخ سوريا والتي حكمت في طرابلس وعكار وعرقه وما يلي ذلك من النواحي حقبةً من الزمان ثم زال حكمها سنة ١٠٦٨ هجرية

ولما وصـل الشيخ النابلسي الى طرابلس الشام ذهب تواً الى « دار السعادة » وهو اسم لمنزل الامير ارسلان باشا المشار اليـه . لكن الامير كان قد اعدَّ لنزول الشيخ داراً اخرى وهي دار حسين جلبي آغاة مينا طرابس . والذي يسمع وصف هذه الدار يخال نفسه في عالم الف ليلة وليلة وانه يقرأ فصلاً من فصولهـا : « فقد كانت تلك الدار . كجنة النعيم دار

القرار . تنتعش فيها الارواح . وتبتهج بهـا الاشباح . وهي محتوية على يوت فاخرة . واماكن كثيرة عامرة . ذات مياه رائقـة واحواض دافقة . وفي ساحة هذه الدار بركة ماء طولها اربعة عشر ذراعا . وعرضهـا سبعة اذرع وباعا . وامامها مقعدان . لطيفان . وعليهما عرائش العنب . وبينهما فسقية صغيرة من الرخام الابيض يتدفق ماؤها كأنها كاس بلور زانه الحبب . وبأرجاء هذه الدار بساتين واشجار . ورياحين وازهار . ما بين ياسمين وسيسبان . واشجار نارنج وفاغية وريحان ...» وكنت منذ ايام سمعت مدير مينا طرابلس يساوم في اجرة دار يريد سكناها في المينا فلم يشأ ان يدفع سوى ثلاثة ريالات في الشهر . اما آغاة المينا منذ مائتين وعشرين سنة فقد كانت له — عدا الدار التي مرَّ وصفها — دار اخرى في المينا لا تقل شيئاً عن تلك الدار : فقد كانت « قصراً رفيعاً . ومكاناً مشرفاً بديعاً . وهو مطل على البحر المتلاطم بالامواج . وشبيه في سموه بهاتيك الابراج . وجهاته مطلقة . وجوانبه على هاتيك البساتين والمرج الاخضر مشرقة »

وقوله « هاتيك الابراج » إشارة الى أبراج او مسالح سبعةٍ مبنية على شاطئ البحر امام طرابلس الشام . كانت تشحن بالسلاح والذخائر والمقاتلة لحماية الثغر من عدوٍ مهـاجم او قرصان متلصص . وبين البرج والبرج الف خطوة أو اكثر او أقل . وهذه الابراج من بناء الصليبيين . لكنّ المسلمين لما استولوا عليها كانوا يرمّمونها ويزيدون فيها ما يكسبهـا قوة ومَنَاعة . وفي بعض هـذه الابراج محرابٌ للصلاة ، ومن ثمَّة ذهب بعضهم الى ان هذه الابراج مما شيده المسلمون . لكن التحقيق انها من

آثار الصليبيين . ولم يبقَ منها اليوم سوى برجين ماثلين في الساحة التي اتخذت الآن محطة كبرى للسكة الحديدية التي تصل طرابلس بحمص وتم بعد بضعة اشهر . وعما قريب يعفى اثر البرجين المذكورين من لوح الوجود كما عفى اثر سائر الابراج التي اشتراها الاهلون من الحكومة وشادوا عليها وبانقاضها مخازن وبيوتاً

لبث الشيخ النابلسي في طرابلس زهاء خمسة عشر يوماً . وقد اجتمع بفضلائها وعلمائها . وتجوَّل في أرياضها ومتنزّهاتها . وأحصى جوامعها وحماماتها . ولما ركب زورقاً للنزهة في البحر ورأى أشكال القوارب . ومختلف هيئاتها سأل عن كل واحد منها وسرد أسماءها . فكانت عشرين نوعاً

وكان اذا ذكر حماماً قال ان مسلخه كبير أو صغير وفيه حوض من رخام أو ليس فيه . وذهب بعض الفضلاء الى أنه يريد بكلمة المسلخ المكان الذي فيه يسلخ المغتسلون ثيابهم اي ينزعونها . وقد اعاد هذه الكلمة مراراً . فكأنها كانت شائعة في زمانه . ولا نعلم ان كانت تستعمل اليوم في دمشق بهذا المعنى أولا ؟

وكانت تجري بين الشيخ النابلسي وبين علماء طرابلس وفقهائها مذاكرات ومباحثات ومطارحات . وكان معظمها او كلها يدور حول غرائب الابحاث ونوادر المسائل النحوية والفقهية كمسائل الوقف والطلاق وغير ذلك . فكان كل منهم يذكر قولاً رآه في بعض الكتب لبعض الفقهاء ويطلب رأي النابلسي في المسألة أو هو يطلب رأيهم فيما اشكل عليهم أمره

ومما يستدعي الملاحظة ان علماء طرابلس أو علماء ذلك العصر كانوا

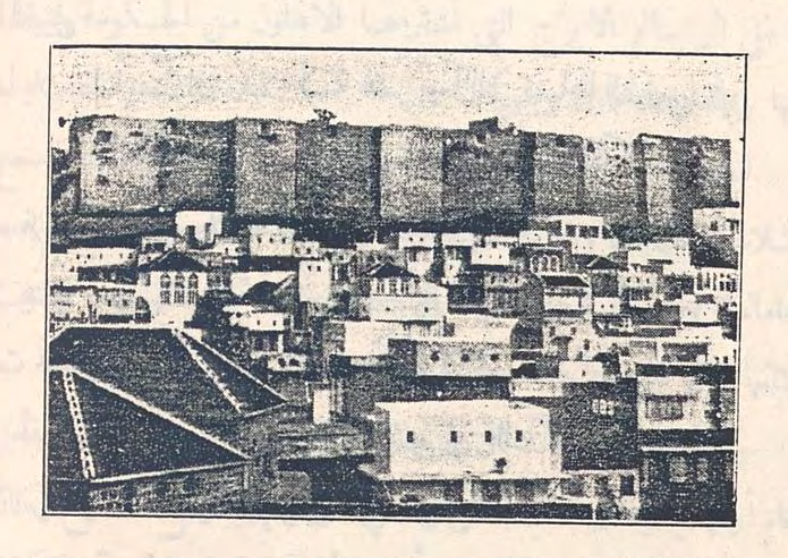
مفتونين بحب كتب العلم ، يتنافسون باقتنائها ويتباهون بنوادرها . فكان الشيخ النابلسي كلما زار فاضلاً في داره عرض عليه ما عنـده من نفائس الكتب ونوادر الاسفار العلمية والادبية ويأخذ كل منهم في سرد ما يعلمه من هذا القبيل

ومما يلاحظ أيضاً ان مدة الخمسة عشر يوماً التي قضاها النابلسي في طرابلس - وكانت كلها مذاكرات ومباحثات — لم يجرِ فيها ذكر لمدارس التعليم — فلم يُذكر تلميذ ولا مدرسة . ولا للعائلة - فلم تذكر امرأة ولا تربية ولا بيت . ولا للصناعة والتجارة — فلم تذكر حرفة ولا بضاعة ولا حانوت . ولا للعادات والتقاليد — فلم يذكر شيء من امور الافراح والمآتم والحفلات الاخرى حتى كأن طرابلس في ذلك العصر ليس فيها تلميذ ولا امرأة ولا صانع ولا تاجر ولا شيء من مميزات كل هيئة اجتماعية أو ان الكلام في هذه الاشياء ليس مما يُهتم به أو هو مما لا يحسن ان يدور الحديث بشأنه بين رجال الطبقة العالية

وأغرب من جميع ما ذكر أنه لم يجرِ حديث بينهم عن شؤون السياسة واخبار الحكومة واحوال الدولة ، فلم تذكر اسلامبول ولا اسم السلطان ولا محاربة ولا معاهدة ولا وزارة ولا شيء من هذا القبيل . مع أن الطبقة التي يجالسها الزائر الكريم من اعلى طبقات طرابلس في العلم والوجاهة والنفوذ والاتصال بالمقامات العالية خارج طرابلس . فهم الحكام الاداريون . والقضاة والمفتون

فما اكبر الفرق بين زمننا هذا الذي يذكر فيهِ اسم الحكومة وشؤونها

الوفاً من المرات كل يوم — وذلك الزمن الذي لم اسمعهم ذكروا فيه شيئاً من هذا القبيل مدة خمسة عشر يوماً . فسبحان مغيّر الاطوار . ومقلب الليل والنهار   المغربي



طرابلس وقلعتها

قال الاديب صاحب الامضاء يصف موقعاً بديعاً قامت في سفحه مدينة طرابلس الشام موطن اسرتهِ . وتظهر البلدُ للمشرف من هذا الموقع وقد انسحبت وراءها البساتين وجرى من خلفها البحرُ يرتجفُ وليس بينها وبين السماء في نظر العين إلاَّ ان تتخطاه :

يا صخرةً حملتنا في ذرى جبلِ   اليهِ معطفُ قلبي حين ينعطفُ

إن شبهوا بكِ قلباً قاسياً فأنا   اراكِ قلباً بنا من حبهِ شغفُ

كم في لياليكِ انفاسٌ يكادُ بها   قلبي-وقد ذكرَ الاحبابَ-يختطفُ

آنستُ من مسّها في مهجتي سحرًا   مسَّ اللحاظِ تحيّينا وتنصرفُ

كأنَّ اضواءَها في القلبِ من طربٍ مواقعُ الاملِ المظنون تنكشفُ
توافقت ومضت تهوي على عجلٍ كالطيرِ صفَّ (١) ولكن لم يكد يقفُ

* * *

اعليتِنا الجوَّ نستجلي محاسنهُ كأننا لسماء الله نزدلفُ
نلوح في «عين» «راء» نحوكِ اطَّلعت «كهمزة» رفعتها فوقها «ألفُ»
نرى طرابُلسَ تبدو كالحمامةِ في وكرٍ لها اظهرتهُ روضةٌ أُنُفُ
والبحرُ يحكي ذراعاً للسماء بهِ تزحزحُ الارض عنها فهو يرتجفُ
مناظرٌ ما اختلفنا في محاسنها والحسنُ انواعهُ فيهنَّ يُختلفُ
فيا طرابُلسُ حيتكِ المنى بلداً بي من هوى الحسنِ فيهِ فوقَ ما اصفُ
أحسُّ بين ضلوعي كلما خطرتْ ذكراكِ أنَّ اليكِ القلبَ ينحرفُ

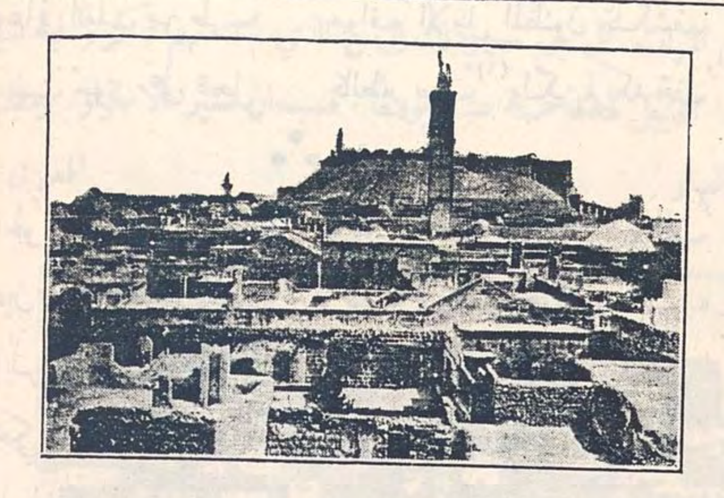
مصطفى صادق الرافعي

يافا

قال البهاء زهير ملغزاً في مدينة يافا

بعيشك خبرني عن اسم مدينةٍ يكون رباعياً اذا ما كتبتهُ
على انه حرفان حين تقولهُ ومعناه حرف واحد ان قلبتهُ

(١) صفَّ الطائر: بسط جناحيهِ في السماء



حلب وقلعتها

قلعة الشهباء

هي قلعة شامخة الذرى اكبَّ عليها الدهر وانزلهـا في الحضيض والسفال، فعادت اطلالاً بالية ورسوماً دارسة وخرِباً صامتة، تحدّث الورى بعظمة الجدود وتناجي النفوس بقدرة الخالق في الوجود والكائنات

عندها تقف الالوف طويلاً بين متنزه يلهو بالمادة، ومفكّر يدرس في كتاب الوجود، ومعتبرٍ يتأمـل بمصير الامور، ومهندس يشتغل بالمقادير والاشكال، وراوٍ محقق يستنطق الآثار ليسجلها ذكرى وعبرة للآتين والكل لا يجسر ان يلفظ كلمته الاخيرة في واضع اساسها ورافع ابراجها

على ممرّها اللاحب جرتِ الغُزاةُ غازياً اثر غازٍ، وتدفقت الاجناد فيلقاً تلو فيلق، متسابقين متزاحمين متدافعين بين مشتبك القنا وعلى صليل السيوف، وتحت مثار العِثير، وعلى هتـاف الظفر ونحيط الذعر والاندحار الى ٠٠٠ مجد النصر ومجد الفتح . الى ٠٠٠ هوة الابدية ولهوات العدم

فوق حصونها الهائلة كم بكت من مقل وكم سالت من دماء، وكم تحققت من

آمال وكم خابت من اماني ، وكم انحطت من عروش وكم انعقدت من تيجان ، وكم استرسلت من نفوس الى الحياة ... الى الخلود . حتى انهزم الوهم مطارداً امام الحقيقة كما ينهزم الظلام امام الصبح وتطارَدُ الذرات امام الرياح الزعازع

في ثنايا بقاياها الرميمة تختبئ معلولات الدهور من بابل الى آشور الى مصر . ومن مكدونية الى رومية الى بوزنطية . ومن العرب الى الجراكسة الى الاتراك . من قرون الظلمة الى اعصر النور ، وحبُّ السؤدد وحب الانانية دافع الى تنازع البقاء . الى تنازع الاثرة . والدنيا ملأى بالتناقض والشر والاباطيل

على ابوابها وحناياها نقشت الاجيال اسطراً من مثل المؤيد والمظفر والمجاهد والمرابط والعالي المولوي والاميري الشمسي وسيد الملوك وغياث الدنيا والدين ومحيي العدل في العالمين ، الى الفاظ اخرى الّهوا بها المادة وعبدوا اميالها وقدسوا فظائعها فحرقوا لها بخور الضمائر والشواعر فيا للغرور ويا للجهالة . . !

من انقاضها التي بعثرتها ايدي الاحداث وجدرانها التي داستها ارجل الاجيال وانفاقها المنحنية تحت وطأة السنين صدى يتردّدُ في فضائها ويتجاوب في انحائها فيروي تلاطم الاهوآء واصطدام المطامع وما جرَّ احتكاكها والتحامها على الانسان من الويلات والمصائب ...

هنا معقلٌ شادتهُ ايدٍ طامعة في الخلود ، وهنا هيكل تعبدت فيهِ نفوس فطرت على التدين ، وهنا عقول غشّى عليها الجهل فما ادركت من صفات الالوهية سوى العظمة والجلال ، وهنا امارات وقفت على هذه الخرائب وقوف الحياة على شفير الموت ، وهنا حلقات من سلسلة الانسان مرت امامها كمرور الايام امام الابد القائم

عقبَ الجلبةَ الصمتُ العميق ، وتلا الضجةَ . السكينةُ البالغـة ، فلا يقلقها الا حفيف اجنحة الطير ولا يزعجها غير وقع ارجل الحشرات ، وفي هـذا الليل الابدي والجمود المطلق تبدو الحقيقة الازليـة جلية من خلال زخارف العصور ، وتنجلي الحكمة السرمدية بسنائها المتألّق الباهر من طيَّات طبقات الاجيال المتلاشية لفتة الى هذه الآثار ، ووقفة على هذه الاطلال ، وتأمل معي ببقيـة عادية

طرقتها بوائق الدهور . فعندها تتضآل الطبيعة دون العلة الاولى القادرة ، ومن وراثها تبرز المبادئ السامية بروز الغزالة وهي توآسي البشرية المتألمة وتعزّيها في بهرة ارتماضها وتعاستها وتمزق عن ابصارها الحجب الكثيفة المنسدلة على غايتها الاخيرة

فهي الآن كالجبار المسجّى با كفانه البيضآء ، او كالمستغرق في منامهِ المسرور باحلامهِ ، فلن تستيقظ من رقدتها الابدية . وقد كانت كالحارس الموكل اليهِ الامن والمناضل عن الملك والقطين . فباتت كالخطيب المنذر بالقضآء المنبئ عن المنقلب والزوال ، فيعرف منهُ الحيُّ العاقل حقارة البقآء ويتحقق كاذب الآمال

ومنها صوت الطبيعة يرنُّ في اودية القلوب بما يحققهُ الاختبار ان المركب الى انحلال وان الحيوة كالظل والخبر السائر ، او كالسفينة الجارية على المآء المتموج التي بعد مرورها لا تجد اثرها ولا خط حيزومها في الامواج ، او كالطائر يطير في الجو فلا يبقى دليلٌ على مسيرهِ ، يضرب الريح الخفيفة بقوادمهِ ، ويشق الهوآء بشدة سرعتهِ ورفرفة جناحيه ثم لا تجد لمروره من علامة ، او كسهم يُرمى الى الهدف فيخرق بهِ الهوآء ولوقته يعود الى حاله حتى لا تعرف ممر السهم (سفر الحكمة ٥ : ٩) ... وقد خطت فوقها يد الاجيال باحرف من نور (هو الحي الباقي)

*
* *

من البائن المعروف ان القلعة الموصوفة قد كانت في طرف حلب ينحدر من جنوبها سور يحيط بالمدينة وينتهي طرفهُ الى جانب القلعة الشمالي وهذا السور كان يعرف بالرومي لبناء الروم لهُ ويشتمل على ١٢٨ برجاً ضخماً بقي بعض ابرجة منها الى اواخر القرن الماضي . فأمر جميل باشا المشهور بهدمها فهدمت عن آخرها

والقلعة الآن في أواسط المدينة وهي قائمة على ربوة صناعية ركمتها الايدي ، وشادت فوقها القلعة على شكل هرمي او هيئة اهليلجية يبلغ قطر قمتها ٥٠ متراً ومحيط قاعدتها ٤٠٠ متر وتعلو عن سطوح المنازل المحاذية لها ٦٠ متراً وعن سطح البحر ٥٠٠ متر وفي اعلى القلعة منارة مسجدها الجامع ترتفع عن سطحها ٤٠ متراً وجوانب القلعة مسفوحة وصفها الملك الظاهر بالحجارة الهرقلية المنحوتة والآن

قد استولى الخراب على اكثرها . ومن حولها خندق واسع منقور في الصخر الابيض يفصل القلعة عن الابنية المجاورة لها ويُغمر عند الحاجة بالمياه فيتعذر على الجيش المحاصر اجتيازه . وفي قمتها سور يحيط بها كأنهُ الاكليل يعصب هامها قامت فوقهُ بروج ومرامٍ كان الجنود يرمون منها العدو المهاجم باصناف القذائف والسهام وهذا السور قد تهدم فلم يبقَ منهُ الا القليل قائماً ينبئ عن عظم شأنهِ وضخامة بنيانهِ

وعلى جانبي القلعة الجنوبي والشمالي برجان هائلان مربعا الشكل شادهما الامير سيف الدين چكم ولما خربا جدّد بنيانهما الملك الاشرف قانصوه الغوري في سنة ٩١٤ — ٩١٥ ه وهما الآن اصلح حالاً من سائر ابنية القلعة التي استولى عليها الخراب والدمار الى حد التعطيل الفاحش والتشويه الشنيع

ولا يُصعد الى هذه القلعة الا من جهتها الجنوبية ومدخلها متقن الصنعة عجيب البنيان يجتازه الداخل على جسر ممتد الى المدينة يستند على ست حنايا ضخمة مرتفعة . وعلى باب المدخل برجان على جانبٍ من المناعة والضخامة وعليهما نقوش بديعة تزينهما وعلى طولها كتابة عربية من الخط النسخي المملوكي ، تبهر النظر وتستلفت الخواطر ، يُستفاد منها ان السلطان خليل بن قلاوون أمر بعمارة هذا المدخل بعد اهمالهِ واشرافهِ على الدثور في سنة ٦٩٠ ه (١٢٩١ م)

ولهذا المدخل عدة ابواب يتخللها دركاوات بآزاج معقودة[1] وحنايا منضودة ، وكان لكل باب اسفسلار[2] ونقيب واماكن لجلوس الجند وارباب الدولة ، وعلى هذه الابواب نقوش وكتابات عديدة جميلة تخلب الالباب ومن حولها شرفات ومرامٍ لآلات الحرب وادوات الكفاح تزيد هذا المدخل العجيب رونقاً وجمالاً

واذا تجاوز الداخل باب المدخل صاعداً الى القلعة ومارّاً بالابواب والدركاوات الواسعة المعابر كثيرة الزوايا المستقيمة ، ينتهي الى الباب الاوسط فيرى على طرفيهِ ثعبانين طويلين يلتفان على بعضهما وفي اعلاه كتابة جميلة مآلها ان الملك الظاهر

---

(١) الدركاوات مفردها دركاه وهو القصر وآزاج جمع ازج وهو بيت يبنى طولا . وكلاهما اعجمي (٢) تعريبه متولي الامر او متولي الحجر

غياث الدين غازي هو الذي حصن القلعة وشاد على مدخلها البرجين السابق ذكرهما وجعل لهُ ثلاثة ابواب من حديد . ولما ينتهي الداخل الى الباب الاخير يرى على جانبيهِ اسدين عظيمين ناتئين ، والى الجانب الايمن مزار يُعزى الى الخضر وكان ينسب للخليل (ابرهيم) يقصدهُ بعض المسلمين ، بالنذور والهدايا

ومتى بلغ الداخل قمة القلعة يبدو لهُ صحنها مركوماً بالاتربة والحجارة الضخمة ويرى ابرجة متهدمة وحنايا متشعثة وشرفات متداعية ، اخنى عليها الدهر فدرست محاسنها وتعطلت زخارفها . وفي أواسط قمتها باب الجامع وعليه انواع الوشي والنقوش العربية . وعلى جانبها الجنوبي دار العز او دار الشخوص لكثرة ما كان فيها من التماثيل والزخارف وفي صحنها ركام من القنابر القديمة ومنها يُدخل الى نادٍ للملك الظاهر طولهُ الشمالي ٢٥ متراً في عرض ٧ امتار وطوله الجنوبي ٢٥ متراً في عرض ١٥ متراً ، وفي صدره نافذة كبيرة مستطيلة مربعة تطل على المدخل والمدينة واطارها وتطاريفها الخارجية دقيقة الصنعة محكمة النقوش يروق العين منظرها

وفي أواسط قمة القلعة منحدر مسدود الآن كان يُنزل منه الى انفاقها السفلية حيث كنيسة النصارى باقٍ بعض رسومها ماثلة من مثل حنية الكاتدرا واعمدة وحنايا اخرى . والى جانبها الغربي مخازن حديثة البناء تحوي اصناف الذخائر والادوات الحربية والى جانبها بئر الماء المعروفة بالساتورة كان ينحدر اليها بـ ١٢٥ درجة وعمقها الآن ٤٧ متراً . وذلك كله لا يناسب المدخل في شيء من حسنهِ ونقوشهِ وتصاويرهِ وكتاباته المختلفة

ومن قمة القلعة تنكشف لك المدينة مركومة بعضها فوق بعض ومن اعلى منارتها ينبسط نظرك الى مدى بعيد تجد منهُ منظراً بديعاً فاتناً يترك في النفس أثراً من السرور والانبساط وترى ما يكتنف حلب من الغياض والرياض الخضراء والسهول الخصيبة الواسعة وما يحيط بها من الربى والتلال احاطة الهالة بالقمر او السوار بالمعصم كأنها الحصون والمعاقل تحصنها وترد عنها الغارات العشواء

* *

ذهب غالب مؤرخي العرب الى ان اول من بنى القلعة سلوقوس الاول الملقب بنيقاطور احد قواد الاسكندر الذي ملك على سوريا سنة ٣٠١ قبل المسيح . وارتأى اهل التحقيق ان بناتها الحثيون الذين استولوا على سوريا الشمالية في القرن السابع عشر (ق م) واستندوا الى ما خلّفهُ هذا الشعب القوي من الكتابات والتماثيل والرسوم العديدة في هذه النواحي ، واستدلوا فيما استدلوا عليه بما بين هذه القلعة وبين قلاع حمص وحماه وحارم من التشابه العظيم

والحق يقال ان سلوقوس اصلح القلعة فقط ، لما رمم بحلب بعض الترميمات، وبنى فيها أبنية جديدة واطلق عليها اسم بيريا او باروًا . ولما فتحها كسرى انوشروان وشاد سورها بنى في القلعة مواضع

وعندما فتح ابن عبيدة حلب كانت قلعتها مرممة الاسوار بسبب زلزلة اصابتها قبل الفتح فاخربت اسوار البلد وقلعتها ولم يكن ترميمها محكمًا فنقض بعضهُ وبناهُ . وعني بها بنو امية و بنو العباس فتركوا فيها آثاراً ولما هاجم نيقفور ملك الروم حلب سنة ٣٥١ هـ امتنعت القلعة عليه وكان قد اعتصم بها جماعة من العلويين والهاشميين لجنهم ، ولم يكن لها يومئذٍ سور عامر فكانوا يتقون سهام الروم بالاكف والبرادع

ولما تولاها الامراء الحمدانيون بنى بها سيف الدولة وابنهُ سعد الدولة مواضع وكذلك شاد بها بنو دمرداش دوراً وجددوا اسوارها وكذلك عني عماد الدين آق سنقر وولده عماد الدين زنكى بتحصينها وكذلك بنى بها طغتكين برجاً من جنوبها ومخزنًا للذخائر وكذلك شاد فيها نور الدين زنكى ابنية كثيرة

ولما ملكها الملك العادل سيف الدين الايوبي بنى بها برجاً وداراً لولده فلك الدين . ولما ملكها الملك الظاهر غياث الدين غازي حصنها و بنى فيها مصنعاً للماء ومخازن للغلات وسفح تلها ورصفه بالحجر الهرقلي واعلى بابها وجعل له جسراً ممتداً منه الى البلد ، وجعل للقلعة ثلاثة ابواب من حديد و بنى فيها داراً عرفت بدار العز قامت على دار للملك نور الدين زنكي كانت تسمى دار الذهب ولما احترقت سنة ٦٠٩ هـ جدد بنيانها وسماها دار الشخوص لكثرة ما كان من زخارفها

وفي سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) تهدم منها عشرة ابراج مع بدنياتها فاهتم الاتابك شهاب الدين طغرلبك بعمارتهـا من اسفل الخندق الى قمتها . وفي سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م) هاجمها التتر وهدموا اسوارها واستلبوا ما كان بها من الذخائر والمجانيق . وفي سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م) اعادوا الكرة اليها فاخربوها خراباً شنيعاً ، واحرقوا المقامين فيها حتى لم يبقَ فيها من مكان للسكنى كما قال ابن الخطيب

واستمرت القلعة خراباً الى ان جدد عمارتها الملك الاشرف خليل بن قلاوون على ما سبق ذكره وذلك في سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) ولما فتح تمرلنك حلب في سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) استباح القلعة نهباً وحرقاً فاستمرت ايضاً خراباً الى ان جاء الامير سيف الدين جكم نائباً اليها من قبل السلطان فرج بن برقوق في سنة ٨٠٧ هـ (١٤٠٤ م) فامر ببنائها والزم الناس بالعمل فيها حتى عمل بنفسه واستعمل وجوه الناس ، بحيث كان الامراء يحملون الاحجار على متونهم . وبنى البرجين اللذين على باب القلعة و بنى على سطحهما القصر الماثل الآن وذلك سنة ٨٠٩ هـ و بنى البرجين اللذين في سفح القلعة من جنوبيها وشماليها (وقد سبق وصفهما)

ولما تمرد علي باشا جان بولاد على الدولة العلية سار مراد باشا لقتاله واخضاعه في سنة ١٠١٧ هـ (١٦٠٧ م) وتبع اثاره وحاصر المدينة ففتحها واقام المنجنيقات على القلعة وراسل رؤساء المحافظين عليها واعداً اياهم بمناصب وخلع ، فاغتروا بها وسلموه القلعة ، فقتلهم عن آخرهم وفرّ جان بولاد الى الاستانة طائعاً وقبل سنة ٣٥١ هـ (٩٦٢ م) لم يكن سورها محكماً ولم يكن مقام الملوك بها فاهتمّ بعد ذلك من تولاها من الملوك والامراء بعمارتها وتحصينها وعصي فيها فتح القلعي على مولاه مرتضى الدولة لؤلؤ ثم سلمها الى نواب حلب ، فعصي فيها ايضاً عزيز الدولة فاتك على الحاكم الى ان قُتل بها فصار الملك الظاهر وولده المستنصر يوليان والياً بالقلعة وآخر بالمدينة خوفاً من ان يجري ما جرى من عزيز الدولة . فلما ملك بنو دمرداش حلب سكنوا في القلعة وجرى مجراهم من جاء بعدهم من الملوك والامراء

ووصفها رهط من اهل الرحل والجغرافية من مثل ابن حوقل الذي اشتهر سنة

٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) فقال انها « غير طائلة ولا حسنة العمار » وشمس الدين المقدسي نحو سنة ٣٧٥ هـ (٩٨٥م) فذكر منها « سعتها ومناعتها وما فيها من خزائن السلطان » وابن الطيب السرخسي في رحلته سنة ٢٧١ هـ (٨٨٤ م) فذكر « سورها وبئرها التي ينزل اليها في ١٣٠ مرقاة ودير النصارى فيها » وابن بطلان البغدادي في سفرته سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) فذكر منها « مسجدها وكنيستها » الى غير هؤلاء ممن اجمعوا فيها على ما قاله الرحالة ابن جبير والمسفار ابن بطوطة من امتناعها وارتفاعها ومطاولتها الايام والاعوام ، وقد قال فيها الخالدي شاعر سيف الدولة :

وخرقاء قد قامت على من يرومها ... بمرقبها العالي وجانبها الصعبِ
يجرُّ عليها الجوُّ جيب غمامةٍ ... ويلبسها عقداً بانجمهِ الشهبِ
اذا ما سرى برقٌ بدت من خلالهِ ... كما لاحت العذراء من خللِ السحبِ
فكم من جنودٍ قد اماتت بغصةٍ ... وذي سطوات قد ابانت على عقبِ

روى بيشوف الجرماني في تاريخهِ عن احد حاخامي اليهود قال : انهُ رأى في القلعة كتابة عبرية مفادها (انا يوآب بن سرويا اخذت هذه القلعة) . . ويوآب هذا تولى قيادة جيوش داود في سنة ١٠٥٥ ق م فاذا صحت هذه الرواية كانت هذه الكتابة اكثر قدمية من سائر كتابات القلعة ، ورجحت ما قالهُ المحققون من انها من بنايات الحثيين . واما الكتابات الباقية فهي عربية لا تتعدى القرن السابع للهجرة

وقد كان يتولى حراسة القلعة نفر من الشعب ويعرفون حتى الآن بيت القلعجي الى ان انقرضت وجاقات الانجكارية وانتظمت احوال العسكرية ، فتولت المحافظة عليها الى ان عاد امرها في هذه السنة الى رجال الملكية . وقد تعاقبت عليها الرجوف والزلازل مرات عديدة يطول ايرادها وآخرها في سنة ١٨٢٢ وسنة ١٨٧٢ ، فتشعثت اسوارها وتهدمت ابراجها ، واصبحت اخربة دارسة واطلالاً بالية . وقد اهمل امرها من عهد بعيد فعادت الى ما تشاهد عليه الآن مما سبق وصفه في هذه المقالة فسبحان من بيده تصريف الامور واليه المصير

القس جرجس منش

وصف دمشق

جاء ذكر الشيخ النابلسي ص٢٨٠ وهذه ابيات مختارة من قصيدته في وصف الشام

ان سامَك الخطبُ المهولُ فاقلقا فانزلْ بارض الشام واسكن جلّقا
بلدٌ سمت بين البلاد محاسناً ونمت بهاءً واستزادت رونقا
ان تعشقوا وطناً فذي اولى بكم دون البلاد بان تُحبَّ وتُعشقا
خيرُ الأناس اناسها يرعون أنـــواع الوداد ويحفظون الموثقا
طابت هواءً للنفوس وماؤها عذبٌ زلالٌ سائغ لمن استقى
يا حسنَ واديها وطيبَ شميمهِ قد فاحَ عرفُ الزهر فيه وعبّقا
وتراسلتْ اطياره بين الربى سَحراً فهيّجت الفؤاد الشيّقا
كيف اتجهت يخرُّ نحوك ماؤه واليكَ يركع كلُّ غصنٍ اورقا
يا حبذا اشراق مرجتها التي أضحى غنيُّ الهمّ فيها مملقا
وتلاعبتْ فرسانها وتراكضت ما بينها تعلو الجياد السبّقا
ضحكت ازاهرها على اغصانهـا فأتى النسيم يُميلهن وصفّقا
سُقيت دمشق الشام صوبَ غمامة اشفى على غيطانها فتدفقا
كم نزهة للعين فيها قد زهت وسرَت على طرف الهموم فاطرقا
لم ترضَ عيني غيرها من منظر ولذا ترى قلبي بها متعلقا
هي منشإِي لا حاجرٌ وطويلعٌ ومحلُّ أنسي لا الغوير ولا النقا
وطني واول ما وطئتُ بها الثرى لا زال عيشي عن حماها مطلقا
لُذ يا فؤادُ بما بهـا من معشرٍ ان سامك الخطبُ المهول فاقلقا

الشيخ عبد الغني النابلسي



دمشق الشام والجامع الاموي

الجامع الاموي

هو من أشهر جوامع الاسلام حسناً واتقانَ بناء وغرابة صنعةٍ واحتفال تميق وتزيين ، وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه . انتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بإشخاص اثني عشر ألفاً من الصناع من بلاده وتقدم اليه بالوعيد في ذلك ان توقف عنه ، فامتثل أمره مذعناً بعد مراسلة جرت بينهما في ذلك مما هو مذكور في كتب التواريخ فشرع في بنائه وبلغت الغاية في

التأنق فيه وأُنزلت جُدُرهُ كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء، وخلطت بها أنواع من الاصبغة الغريبة قد مثلت اشجاراً وفرعت اغصاناً منظومة بالفصوص ببدايع الصنعة الانيقة المعجزة وصف كل واصف . فجاء يغشي العيون وميضاً و بصيصاً . وكان مبلغ النفقة فيه احد عشر الف دينار ومئتي ألف دينار

ذرعه في الطول من الشرق الى الغرب مئتا ألف خطوة وهما ثلاث مئة ذراع . وذرعه في السعة من القبلة الى الشمال مئة خطوة وخمس وثلاثون خطوة وهي مئتا ذراع . فيكون تكسيره من المراجع الغربية اربعة وعشرين مرجعاً . و بلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من الشرق الى الغرب ، سعة كل بلاطة منها ثماني عشرة خطوة ، والخطوة ذراع ونصف . وقد قامت على ثمانية وستين عموداً منها اربع وخمسون سارية وثماني أرجل جصية تتخللهـا . واثنتان مرخمة ملصقة بالجدار الذى يلي الصحن وأربع ارجل مرخمة أبدع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة

واعظم ما في هذا الجامع المبارك قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وهي عظيمة الاستدارة قـد استقل بها هيكل عظيم هو غارب لها يتصل من المحراب الى الصحن فاذا استقبلتها ابصرت منظراً رائعاً ومرأى هائلاً ، يشبهه الناس بنسر طائر كأن القبة رأسه والغارب جؤجؤه ، ونصف جدار البلاط على يمين والنصف والثاني على شمال جناحيه ، وسعة هذا الغراب من جهة الصحن ثلاثون خطوة فهم يعرفون هذا الموضع من الجامع بالنسر لهذا التشبيه الواقع عليه . ومن اي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء

منيفة على كل علو كأنها معلقة في الجو . والجامع مائل الى الجهة الشمالية من البلد وعدد شمسياته الزجاجية المذهبة الملونة اربع وسبعون

والبلاط المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات من ثلاث جهات على اعمدة وعلى تلك الاعمدة ابواب مقوسة تقلها أعمدة صغار تطيف بالصحن كلهُ . ومنظر هذا الصحن من أجمل المناظر واحسنها . وفيه مجتمع اهل البلد وهو متفرجهم ومتنزههم كلَّ عشية تراهم فيـه ذاهبين وراجعين من شرق الى غرب من باب جيرون الى باب البريد . فمنهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ . ولا يزالون على هـذه الحال من ذهاب ورجوع الى انقضاء صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرفون .

وفي الصحن ثلاث قباب احداها في الجانب الغربي منه وهي اكبرها وهي قائمة على ثمانية اعمدة من الرخام مستطيلة كالبرج مزخرفة بالفصوص والاصبغة الملوّنة كأنها الروضة حسناً وعليها قبة رصاص كأنها التنور العظيم الاستدارة ، يقال انها كانت مخزناً لمال الجامع ، ولهُ مال عظيم من خراجات ومستغلات تنيف على ما ذُكرلنا على الثمانية آلاف دينار صورية في السنة وهي خمسة عشر الف درهم مؤمنية او نحوها . وقبة اخرى صغيرة في وسط الصحن مجوفة مثمنة من رخام قد أُلصق أبدع الصاق قائمة على اربعة اعمدة صغار من الرخام وتحتها شباك حديد مستدير وفي وسطه انبوب من الصفر يرمي الماء علوًّا فيرتفع وينثني كأنه قضيب من لُجَين يشره الناس لوضع افواههم فيه للشرب استظرافاً واستحساناً ، ويسمونه قفص الماء . والقبة الثالثة في الجانب الشرقي قائمة على ثمانية اعمدة على هيئة القبة الكبيرة

وكان هذا الجامع المبارك ظاهراً وباطناً منزلاً كله بالفصوص المذهبة مزخرفاً بأبدع زخاريف البناء المعجز الصنعة ، فادركه الحريق مرتين ، فتهدم وجدد وذهب اكثر رخامه فاستحال رونقه ، وأسلمُ ما فيه اليوم قبلته مع الثلاث قباب المتصلة بها . ومحرابه من اعجب المحاريب الاسلامية حسناً وغرابة صنعة ، يتقد ذهباً كلها وقد قامت في وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سويريات مفتولات فتل الاسورة كأنها مخروطة لم يرَ شيء اجمل منها ، وبعضها احمر كأنها مرجان . فشأن قبلة هذا الجامع المبارك مع ما يتصل بها من قبابه الثلاث واشراق شمسياته المذهبة الملونة عليه واتصال شعاع الشمس بها وانعكاسه الى كل لون منها كله عظيم لا يلحق وصفه ولا تبلغ العبارة بعض ما يتصوره الخاطر

وفي الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان (رض) وهو الذي وجّه به الى الشام . وتفتح الخزانة كلّ يومٍ إثر الصلاة فيتبرك الناس بلمسه وتقبيله

وعن يمين الخارج من باب جيرون ، في جدار البلاط الذي أمامه ، غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان من صفر قد فتحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ، ودُبرت تدبيراً هندسياً فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازيين مصورين من صفر ، قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما . احدهما تحت اول باب من تلك الابواب والثاني تحت آخرها ، والطاستان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازيين يمدّان

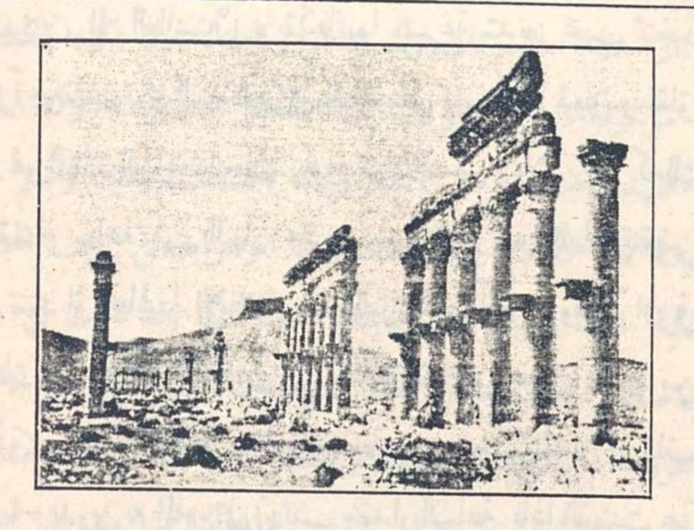
عنقيهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الاوهام سحراً ، وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لهما دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر . ولا يزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار حتى تنغلق الابواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول . ولها بالليل تدبير آخر ، وذلك ان في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتي عشر دائرة من النحاس مخرمة ، وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار ، وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عمّ الزجاجة ضوء المصباح وأفاض على الدائرة شعاعاً فلاحت للابصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها . وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها دربٌ بشأنها وانتقالها يعيد فتح الابواب وصرف الصنج الى موضعها وهي التي يسميها الناس الميقاتة …

ابن جبير		زار دمشق سنة ٥٨٠ ه

قال النابغة الذبياني يمدح النعمان

ولا أرى فاعلاً في الناسِ يشبهه		ولا أحاشي من الاقوام من أحدِ
إلاّ سليمانَ اذ قال الالهُ لهُ		قمْ في البرية فاحددها عن الفَندِ
وخيّسِ الجن اني قد اذنت لهم		يبنون تدمُرَ بالصفّاح والعَمَدِ

ولا احاشي : ولا استثني — واحددها عن الفند : صنها عن الظلم — خيّس : ذلّل — الصفاح : حجارة عراض رقاق — العمد : السواري من الرخام وهي الاساطين واحدها اسطوانة



تَدمُر

« ملكة الصحراء [١] »

اذا سرت في بادية الشام وقاربت الوصول الى حاشية منها ، تظهر لك عن بعد شاسع من خلال الحجب الهوائية الشفافة نقطة سوداء في الشمال الغربي من حمص وحماه ، فتنتعش نفسك وتشعر بقرب آثار الحياة ، بعد ان تكون سرت اياماً في ظل الموت محاطاً بسكون الطبيعة الراقدة . ولا تكاد تتقدم قليلاً الى الامام حتى تنقشع الحجب شيئاً فتتسع تلك النقطة وتنجلي بعد حين عن دائرة خضراء غير منتظمة ، ولا تزال الدائرة آخذة بالوضوح والانتشار ذات اليمين وذات اليسار كلما

---

(١) من « دليل لبنان وسوريا » الذي أنشأة اخيراً حضرة الكاتب الفاضل الشيخ بولس مسعد وهو سيمثل قريباً للطبع في نحو ألف صفحة مزيناً بزهاء مائة رسم تمثل أشهر وأجمل ما في لبنان وسوريا من الآثار القديمة والمناظر الطبيعية

اسرعت الخطى ، الى ان تشرف عليها وتقف برهة مستنشقاً الصعداء فاذا
بك امام اثر من آثار الجبابرة الذين كان يتغنى بمدحهم شعراء اليونان .
نرى جبلاً منتصباً على طرق البادية كسورٍ منيع اقامته يد الطبيعة هناك
لصدّ الغارات عن مملكة زنوبيا يتدفق من جوفه نبع غزير تنساب مياهه
الكبريتية في بقعة خضراء منبسطة امام الجبل بين بساتين غضة حافلة
باشجار الفاكهة على اختلاف انواعها وحقول واسعة زرعت بانواع الحبوب
ومروج خضراء تتخللها وهي مرعى خصيب تغشاه قطعان الماعز والضان .
تقف وتسرح النظر حيناً في تلك البقعة الجميلة ، فتتمثل لك الطبيعة ضاحكة
باسمة الثغر فتؤنس وحشتك وتنفس كربتك وتنسيك هذه الابتسامة
اللطيفة من « عروس البادية » كل ما لقيته قبل وصولك اليها ومصاحبتك
لها من عبوسة واكفهرار في باديتها القاحلة الجرداء . وفي وسط هذه
البقعة الجميلة ركام من الخرابات ، تتخللها ابنية فخيمة متهدمة آية في الابداع
واعمدة ضخمة متناسقة تناطح السحب ، ممتدة على مسافة بعيدة كصف
من الجبابرة اقامتهم ملكة المشرق حراساً على باب باديتها او كأنما هي
ايدٍ مدتهـا اليك ملكة الصحراء من وراء حجب التاريخ لتصافح ضيفاً
كريماً جاء يحييها في مقر ملكها . فتقف حائراً مبهوتاً وترى مجالي العظمة
والجلال بادية على تلك الآثار الضخمة . فتدرك انها آثار قوة هائلة حلّت في تلك
البقعة من البادية ردحاً من الدهر ، فدانت لها الممالك وانقادت اليها الشعوب
تلك آثار تدمر موطن زنوبيا ، ملكة المشرق وعدوة الرومان ، ومنقذة
سوريا من رق العبودية ، . . وأهم آثار تدمر واقعة في سفح ربوة ممتدة

من الشمال الشرقي الى الشمال الغربي على مسافة ثلاثة فراسخ ، وهي مؤلفة من آثار هيكل عظيم جعله العرب في القرون الوسطى قلعة حصينة ، والى جوانبها كثير من آثار الهياكل والقصور الفخيمة ، بينها انقاض من عهدين مختلفين : بعضها سابقٌ لعهد بخت نصر وهي ركام من الابنية المتهدمة المبعثرة والبعض يرتقي عهده الى القرون الثلاثة الاولى بعد المسيح . ومعظمها قائم الى اليوم وليس فيها كتابة ما سابقة لعهد المسيح او لاحقة لعهد ديوكليسيانوس . ومن هذه الآثار اعمدة تفوق الحصر لا يقل علو الواحد منها عن ١٥ متراً ووراءها قصور متهدمة وابواب وسراديب واروقة ومماش واقواس . والارض مغشاة باحجار واعمدة محطمة على اكثرها نقوش بديعة . وفي الجهة الغربية من الهيكل الكبير كثير من المدافن وُجد على بعضها كتابات فينيقية ويونانية . وفي السهل الواقع جنوبي النبع مدافن اخرى مقفلة باحجار ضخمة لم تستخرج كنوزها الى الآن . وفي سفح الجبل كثير من هذه المدافن اهمها وأفخمها ما كان واقعاً على الضفة اليمنى من النهر في سفح جبل بلقيس او «ملكة سبا» ومن آثار تدمر سور يستنيانوس وهو سور ضخم تتخلله ابراج شامخة ، شيّد اكثرها الفاتح الروماني لصدّ اغارات العرب عن المدينة . وعلى قمة الجبل حصن قديم يعرف بقلعة « ابن معن » وهو من عهد فخر الدين المعني الامير اللبناني المشهور الذي بسط سلطته على سائر بلاد الشام ، وهو مشرف على تدمر وضواحيها فتراها منبسطة امامك بهياكلها وقصورها وما بقي من اعمدتها وترى هيكل الشمس قائماً في وسطها كقلعة عظيمة . وفي الجهة الغربية منه الآكام القائمة

عليها مدافن الملوك والعظماء تنبسط امامها بادية الشام التي تحدها على بعد شاسع جبال متقطعة تتخللها معابر القوافل التي كانت تسير الى عهد قريب في تلك الفلوات بين دمشق وبغداد . وبالاجمال ليس بين المدن القديمة مدينة جامعة بين كثرة الآثار القديمة وضخامة الابنية وفخامتها ودقة نقوشها واهميتها التاريخية كمدينة تدمر الا مدينة بعلبك فهما أثران يعدّان من اعجب آثار الاقدمين في سائر الاقطار قاطبةً

وكان لتدمر في الاعصر الخالية شأن خطير وقد كان وقوعها على طريق القوافل التي كانت تسير بين دمشق وبغداد من أهمّ الاسباب التي مهدت لها السبيل الى بلوغها شأواً بعيداً من الحضارة والعمران فكانت مركزًا تجارياً متوسطاً بين اوربا وداخلية آسيا تشحن اليها المنسوجات الحريرية من الهند ومحصولات الارض من البلاد الاسيوية المجاورة لها فترسل منها الى اوربا . اما قبل المسيح فلم يكن لها من الشأن ما كان للمدن السورية الاخرى ولم يرد ذكرها في التوراة بين تلك المدن وجل ما ذكر في سفر الملوك وفي سفر الاخبار ان سليمان الحكيم بنى تدمر وشيد فيها هيكلاً عظيماً لبعال وسماها تدمر اي مدينة النخل لكثرة ما كان هناك منه

وفي ايام السلوقيين خلفاء الاسكندر كانت خط الاتصال بين انطاكية وسلوقيه « اللاذقية » عاصمتي مملكتهم وسميت لعهدهم بلميرا Palmyre مترجمة عن اسمها الاصلي . وفي ايام الرومانيين ازهرت بمتاجرها وصناعاتها وضاهت اعظم المدن السورية ولاسيا في القرن الثالث للمسيح اذ كان يحكمها اودينات الذي أدّى خدماً جليلة للرومانيين

في حروبهم ضد سابور ملك الفرس . فقهره في عدة مواقع دموية جرت له معه وردّه الى ما وراء الفرات . فمنحه الرومانيون لقب ملك مكافأة له على ولائه وشجاعته واعترفوا له بحقوق الملكية . وكانت زوجته زنوبيا (وتعرف عند العرب بزبيدة) من ارقى بنات جنسها في ذلك العصر وكان لها اليد الطولى في رفع منزلته عند الرومان بما اوتيت من الحنكة والدهاء السياسي . ولم يكن يعرض له امر الاَّ شاورها به ووقف على رأيها فيه . فتضافرا على رفع شأن المملكة . ومات اودينات سنة ٢٦٧ م . مقتولاً بيد احد كتبة سرّه تاركاً الحكم لزوجته زنوبيا . وكانت هذه الملكة تدَّعي انها من نسل كليوبطرا ملكة مصر . وقيل انها بنت امير عربي . وكانت تتكلم لغة وطنها فينيقيا وتجيد اللغة القبطية واليونانية واللاتينية . فادخلت المدنيـة اليونانية والرومانية الى عاصمة ملكها بانشائها مدارس كبرى كان يؤمها طلاب العلوم بحيث لم يكد يمر الدور الاول من حكمها حتى كانت تدمر من ارقى مدن العالم

ولما نودي بها ملكة على تدمر منحها مجلس الشيوخ الروماني لقب اوغسطس وانتحلت لقب ملكة تدمر وملكة المشرق ولم يكد يستتب لها الامر حتى طمعت بخلع نير الرومانيين فجيشت الجيوش واخذت تطاردهم من آسيا وكانت ذات جرأة غريبة واقدام عجيب ، تسير الى الحرب في طليعة الجيش وكان عدده ٧٠ الفاً . وما زالت كذلك حتى ملكت سوريا باكملها من اقاصي بلاد الشام حتى بلاد فارس . وقد زحفت على مصر واستحوزت على قسم منها واستولت ايضاً على اقاليم اخرى من الامبراطورية الرومانية الضخمة وحالفت الفرس ، فحسدها القياصرة والملوك ، واشفقوا منها على

ممالكهم ان تضمها الى مملكتها الجديدة وظلوا يراقبون حركاتها بعين الحذر وهم مترددون بين محاربتها وموالاتها الى ان تبوأ اورليانوس العرش فحصر همه في اخضاعها . وسار بجيوشه الى المشرق وقاتلها في عـدة مواقع ، اشهرها موقعتان في سهل انطاكية وسهول حمص استظهر فيهما عليها ، وبلغ الى تدمر فحاصرها واشار على ملكتها بالتسليم فابت فشدّد الحصار على المدينة وسلم اهلها سنة ٢٧٢ . اما زنوبيا فركبت هجيناً تريد بلاد فارس فقبض عليها فرسان الرومانيين عند باب المدينة ، واخذها اورليانوس اسيرة الى رومية وعاملها معاملة ملكة عظيمة الشأن مفاخراً بالنصر الذي أحرزه على اكبر ملكة كانت تهتز لها اعصاب الامبراطورية الرومانية فاعدّ لها قصراً فخماً في مدينـة تيقولي بالقرب من رومية فقضت حياتها فيه تحف بها العظمة والجلال

وقد اجمع المؤرخون على انها كانت فتانة فائقة الجمال شديدة النزوع الى الحروب والفتوحات ، واشتهرت بحذقها وسموّ مداركها وشدة بأسها حتى جرت اوصافها مجرى الامثال في الاعصر الخالية . وفي لبنان آثار عديدة منسوبة الى زبيدة منها اقنية الماء الممتدة من نهر بيروت الى المدينة ومن نهر ابرهيم الى جبيل ومن نهر قديشا الى كورة طرابلس

ثم قام ديوكلتيانوس ويستنيانوس فحاولا اعادة تدمر الى مجدهـا السالف فاخفق سعيهما . ومذ ضربها اورليانوس تلك الضربة النجلاء قضى على شهرتها وتاريخها قضاءً مبرماً فاخذت من ذلك الحين بالانحطاط الى ان بانت أثراً بعد عين وغاصت في لجة عميقة من النسيان قروناً طوالاً كانت

فيها قرية حقيرة لا شأن لها يعرّفها علماء الجغرافية بكونها حداً لبادية الشام في الشمال الغربي من حمص وحماه

وقد ذهب بعض المؤرخين الى ان معظم سكان تدمر وضواحيها كان في ايام زنوبيا مؤلفاً من العرب بدليل ان اكثر الاسماء الواردة في الكتابات اليونانية القديمة التي وجدت في تدمر عربية محضة ومثلها الكتابات التي وجدوها في حوران فانها عربية اللفظ والمعنى وان تكن مكتوبة باحرف يونانية . وفي بعض التواريخ ان تدمر ظلت في امن من غزوات العرب المسلمين دهراً طويلاً ولكنها قاست الشدائد في حروب الامويين والعباسيين سنة ٧٤٥ م . وما يليها . وقد زارها العالم الفرنساوي ڤولني سنة ١٧٥٨ فوصفها ابدع وصف ومزق ما كان مسدولاً على تاريخها من الحجب الكثيفة والفت وصفه لها انظار العلماء والسياح فطفقوا يتقاطرون اليها من كل حدب وصوب لمشاهدة آثارها العجيبة

فحبذا لو كانت حكومتنا الدستورية الجديدة تتمثل بالحكومات الاوربية فتصرف بعض عنايتها الى الآثار القديمة الحافلة بها البلاد السورية فان في جمع هذه الآثار في متاحف خصوصية من الفوائد المادية ما لا يقل قيمة في اعتبار الامم المتمدنة عما في ذلك من عبر التاريخ البالغة والفوائد الادبية للبلاد التي تشتمل على آثار جليلة كآثار تدمر وبعلبك ودمشق والقدس وغيرها مما يعرض لنا كل يوم ان نورده مثلاً من الامثلة العديدة على بلوغ التمدن الشرقي اقصى درجات الكمال في زمن كانت اوربا تتخبط في دياجي الجهل والانحطاط

بولس مسعد

نهر الصفا

وهو النبع المتدفق من عين زحلتا في جبل لبنان ، أرسل الينا وصفه هذا البديع سعادة الامير ارسلان

يا صاحبيَّ قفا على نهر الصفا ... نهرٌ لدينا بات اشهرَ من « قفا »

باكرتهُ طَرِبَ الفؤاد وقد رمى ... فلقُ الصباح لثامَهُ فتكشفا

نهرٌ حسبتُ اديمَهُ بلورةً ... وهّاجةً او نصلَ سيف مرهفا

ورشفتُ ريقة مائه معسولةً ... فافترَّ عن ثغر الحَبَابِ تلطفا

نضح النهارُ عليه ذوبَ لجُينهِ ... وكساهُ مخضرُّ العشابة مطرفا

وحباهُ مؤتلقُ الحصى بجواهرٍ ... أضحى بهنَّ مختَّماً ومشنَّفا

متمايلُ الاعطاف قد غنّت لهُ ... طيرُ السماء مثقّلاً ومخفّفا

ومقلدٌ بالسدِّ جيداً اغيداً ... ومزنرٌ بالجسر خصراً اهيفا

اقبلت انظرُ في بديع حدورهِ ... غزلَ المياهِ موشعاً وملففّا

عجت غواربُه فتحسب انه ... اسدٌ يزمجر في الدجى متغطرفا

كم سرحةٍ تلقاه يخبط جذعها ... اهوتْ اليهِ من الغصون مثقفا

وتكتلت ازبادُهُ فكأنها ... سرب الحمام البيضِ طار فزفرفا

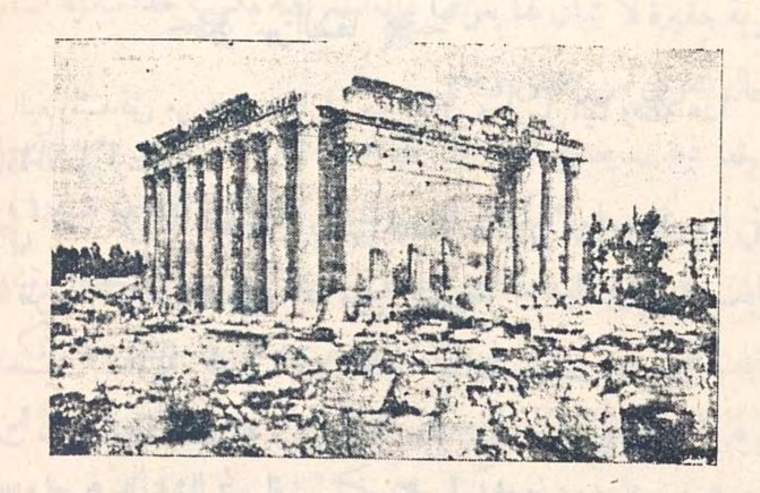
والدوح ترشقهُ ببندقِ حبها ... فيذوبُ من رشقاتهن تخوفا

نهرٌ جزيل المكرمات تقسّمت ... نعماه بين الضفتين فانصفا

يسقي النبات بجانبيه كأنه ... دمعُ الحزينِ يبلّ جفناً اوطفا

لما رأيت سهادهُ لا ينقضي ... ايقنت ان وسادَهُ صلد الصفا

نسيب ارسلان



بعلبك

زار المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي قلعة بعلبك فحفر على باب هيكل «باخوس» بيتين من الشعر هما :

يا بَعلَبكُ فريدة الازمان   بالصنع والاتقان والبنيانِ
لم تبقكِ الايام في حدثانها   الاّ لتظهرَ قدرة الرحمانِ

ثم زارها الشيخ اسكندر العازار فكتب تحتهما بيتين على سبيل المعارضة :

يا معقلاً فيه العقول تحيرت   يا معبداً لمفرّق الاديانِ
لم تبقك الايامُ في حدثانها   الاّ لتظهر قدرة الانسانِ

ثم زارها الشيخ يوسف ابو صعب فكتب تحت الاربعة ابيات بيتين :

يا بعلبك عروسة الازمان   ونديمة المريخ والميزانِ
لولا الذي في النفسِ منه بقيةٌ   لأعدتُ فيكِ عبادة الاوثانِ

قلعة بعلبك

إيه آثارَ بعلَبكَّ سلامٌ بعدَ طول النوى وُبعدِ المزارِ
ووُقيتِ العفاءَ من عَرَصات (١) مقويات (٢) اواهلٍ بالفخارِ
ذكَّرتني طفولتي واعيدي رسمَ عهدٍ عن اعيني متواري...
خرب حارت البرية فيها فتنة السامعين والنظّار
معجزات من البناء كبار لاناسٍ ماء الزمانِ كبار
البستها الشموسُ تفويف درّ وعقيق على رداء نضارِ
وتحلّت من الليالي بشاما تٍ كتنقيط عنبرٍ في بهارِ
وسقاها الندى رشاش دموعٍ شربتها ظوامىء الانوار
زادها الشيبُ حرمةً وجلالاً توّجتها به يدُ الاعصارِ
ربّ شيبٍ أتمّ حسناً واولى واهن العزم صولةَ الجبّارِ
معبدٌ للاسرار قام ولكن صنعهُ كان اعظمَ الاسرارِ
مثّل القوم كلَّ شيء عجيب فيه تمثيلَ حكمةٍ واقتدارِ
صنعوا من جمادهِ ثمراً يُجـ ـنى ولكن بالعقل والابصارِ
وضروباً من كل زهرٍ أنيقٍ لم تفتها نضارة الازهارِ
وشموساً مضيئة وشعاعاً باهراتٍ لكنها من حجارِ
وطيوراً ذواهباً آيباتٍ خالدات الغدّو والابكارِ
في جنانٍ معلقات زواهٍ بصنوف النجوم والانوارِ

(١) ديار (٢) خاليات من السكان

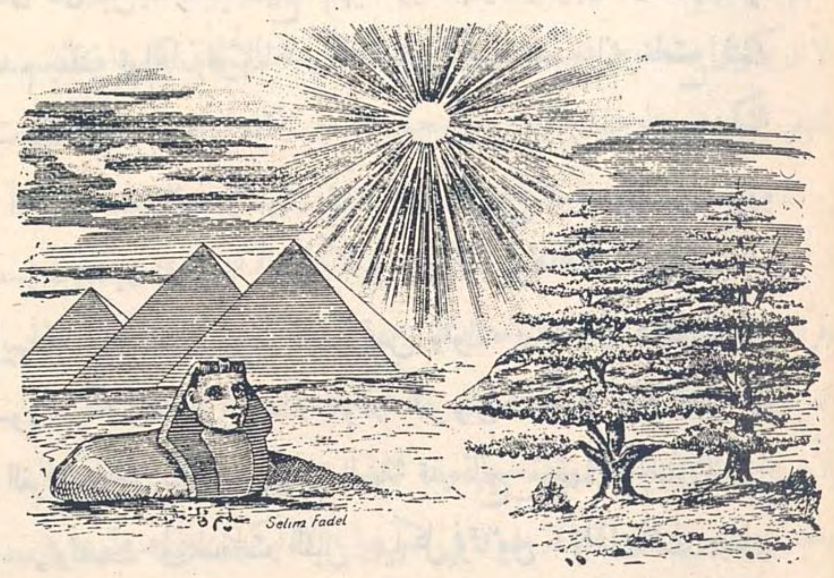
واسوداً يخشى التحفز منها ويروع السكوتُ كالتزآرِ
عابسات الوجوه غير غضاب باديات الانياب غير ضواري
في عرانينها دخانٌ مثارٌ وبالحاظها سيولُ شرار
تلك آياتهم وما برحت في كلّ آنٍ روائع الزوّارِ
ضمّها كلها بديع نظام دقّ حتى كأنها في انتثارِ
في مقامٍ للحسنِ يُعبَدُ بعد الـ ـعقلِ فيه والعقلُ بعد الباري

***

اهل فينيقيا سـلامٌ عليكم يومَ تفنى بقية الادهارِ
لكم الارضُ خالدين عليها بعظيم الاعمال والآثارِ
خضتمُ البحرَ يوم كان عصياً لم يسخّر لقوةٍ من بخار
وركبتم منـه جواداً حروناً قلقاً بالممرّس المغوارِ
ان تمادى عدواً بهم كبحوه واقالوه ان كبا من عثارِ
واذا ما طغى بهم اوشكوا ان يأخـذوا لاعبينَ بالاقمار
غير صعب تخليد ذكر على الار ضِ لمن خلّدوه فوق البحارِ
شيـدوها للشمس دار صلاةٍ واتمّ الرومانُ حليَ الدارِ
نحتوا الراسيات نحتَ صخورٍ وابانوا دقائق الافكارِ
واجادوا الدُمى فجـاز عليهم انهـا الآمرات في الاقدارِ
سجـدوا للذي. همُ صنعوهُ سجداتِ الاجلالِ والاكبارِ
بعـد هـذا اغاية فترجّى لتمامٍ ام مطمعٌ في افتخارِ

خليل مطران

٣ بين مصر وسوريا



حيِّيت يا وطناً تصبو القلوبُ الى ارجائه وبه الارواح تغتبطُ
شمسُ المعارفِ في علياه جامعةٌ اطرافه وهي فيما بينها وسَطُ
في ذرى الارز حبلٌ من اشعتها يُلقى وحبلٌ على الاهرام منبسط

ابراهيم اليازجي

القطران الشقيقان

حفرت معاولُ الفعلة ترعة السويس ، فكانت كالمبضع بتر شرياناً بين عضوين في جسم واحد ، طالما توارد فيه الدم صعوداً من مصر الى سوريا ونزولاً من سوريا الى مصر . فاذا كانت سوريا قد انفصلت عن مصر بثغرة لا تزيد فجوتها عن ٦٥ متراً ، فلا تقولنّ إن يدَ ده لسپس

غلبت الطبيعـة . فالطبيعة لا تُغالب ، واذا ما غولبت غلبت . ولكن الانسان كان قبل مدنيتهِ يُخضع الطبيعة ويذللها ، فصار بعد ازدهار المدنية يستخدم بعلمه قواها وقوتها ، ولكنه يحسّ من نفسه انه خاضع لتلك القوات والقوى

اذا كان مصرائيم وكنعان قـد اجتازا برزخ السويس من سوريا الى مصر ، فصيرا منـاقعها حقولاً ، وبحيراتها سهولاً ، وأكامها مـدناً ، وروابيها دساكر وقرى . واذا كان توتمس وقواده قد عبروا ذلك البرزخ الى سوريا واكتسحوا الامصار ، وثلوا العروش ، ونصبوا لهم نصباً على ضفة الفرات ، فان سلاتس زعيم الرعاة قد نهج نهجهم فاجتاز البرزخ الى مصر ونصب على ضفات النيل هياكل وتماثيل . واذا كانت عبادة الاله اودنيس والالاهة الزهرة قد ترامت من قنن لبنان الى هضاب اصوان ، فان عبادة الاله اوزيريس والالاهة ايزيس قد استفـاضت من شاطىء بحيرة المنزلة الى شاطىء العاصي . واذا كان الغزاة والفاتحون قد عدُّوا سوريا قلعة مصر ، فان الصناع والتجار الاسيويين قدحسبوا مصر مزرعة سوريا ، فهبطها يعقوب بابنائه يمترون ، وجاءها الفينيقيون يتجرون

ظن الرومان انهم اذا قالوا في الهياكل والمساجد ان ابن مصر من جالية النوبة لا من جالية فينيقيا واليمن ، غرسوا في فؤاده حب الاسود الافريقي لحسبانه اخاً ، واقتلعوا من صـدره حب الفينيقي والاشوري الابيض لحسبانه غريباً . ولكن الطبيعة التي لا تخضع الاّ لنظامها ابت على المصريين ان ينقادوا الى الكتب التي قالوا لهم انها مقدسة . على ان

لغة تلك الكتب بنبراتها ومقاطعها فينيقية سورية . بل ابت طبيعة الارض عليهم ان يكونوا الا اخوة السوريين اصدقاء دارهم ، بل ابت التقاليد الواحدة الّا ان يكونوا متحدين فلم ينل الرومان من تعاليمهم منالاً لان كل ما يخالف ناموس التكوين والوجود فانٍ ، وما ينجم عنه – وكان ثمرته – خالدٌ باقٍ

* * *

انقضت العصور المظلمة ، وباعدت الايامُ والاقدارُ بين اللغتين ، وفرّقت بين الدولتين والالهتين ، الى ان جمع بينهما عيسى بتعاليمه . ثمّ تلاه محمد بفرقانه . فازداد تفاعل القطرين واحتكاكهما ، وعاد احدهما طريق الآخر في البشارة بالدين ، والفتح بالقوة . فما انبعث نورٌ من مصر إلا ليكون وهجه في سوريا ، وما تلألأ ضوء في سوريا ، الا ليكون اول سطوعه في مصر . وما استفاض علمٌ في احداهما الا لتكون اول بوارقه في الاخرى . وذلك كان شأنهما من يوم كوّنتا ، وذلك سيكون شأنهما ما دامت الارض على تكوينها والافلاك على دورانها

واذا كانت قناة السويس قد عُدَّت في هذا العصر ثغرةً فاصلة فتحتها يد المدنية ، فان تلك اليد الفاصلة نفسها قد وثّقت روابط الصلة ، وأحكمت عرى التواصل بأثير الهواء وثبج الماء ، فلا تُعدُّ القناةُ الآن فاصلاً . ومن على حافتيها يتخاطب المتقابلان ، ومن فوق مائها يتصافح الاخوان ومن ذا الذي يمنع الهواءَ ان يهبّ ، والماءَ ان يصبّ

علَّم عبد الملك بن مروان المصريين لغة العرب فصاروا عرباً ، وعلَّم خلفاؤه السوريين هذه اللغة فصاروا بها اخوة المصريين ، فاجتمع لهم

من روابط الاخاء والوئام والاتحاد اللغة والجوار ، ان لم نزد عليهما الدين .
واذا ما تفاهم الناسُ تحابُّوا ، والكلمة التي تحتقرها اذا حدثت ، هي التي تعلم الامم ، لان بها يبرز الفكر جلياً للسامعين ، فمن كلّمتَهُ بلسانه كنت اخاه بذلك اللسان ونقلت الى رأسه ثمار عقلك ، والى صدره خوافي صدرك . وتأخذ منه ما عنده وتعطيه ما عندك . تتأدب بأدبه ويتأدب بأدبك ، وتتعلم من علمه وتعلمه من علمك ، وفكرٌ لا يبرز بحلة الكلام وجوده كعدمه

هكذا كان شأن البلدين بعد الفتح الاسلامي وصيرورة لغتهما لغة واحدة . فما نبت فنّ في احدهما حتى جنى الآخر ثماره ، وما ظهر علم او عالِم حتى كان للاثنين معاً . فاذا قلّبت صفحات التاريخ ، وتراجم النوابغ ، ظهرت لك هذه الحقيقة ناصعة ، حتى كأن حبل المدنية واللغة في القطرين سلكٌ كهربائي ، اذا ارتجّ طرفه في بلد ارتج سائره في البلد الآخر ؛ واذا اضاء مصباحاً في القاهرة ، اضاء مثله في دمشق وبغداد . واذا ما ضربت السياسة للاوطان حدوداً ، فان العلم لا وطن له وان كان للعالِم وطن . واذا صحّ ان يُقال بين الامم الاخرى ان حدود الوطن باللغة ، فان هذا لا يصح بين مصر وسوريا ولغتهما واحدة

حكم محمد علي مصر وانشأ المدارس ، ونقل العلم الى لغة العرب ليعلم مصر ، ولكنه علمّ بلاد العرب كلها ذلك العلم . وكان يكفيهم منه ان ينقله الى لغتهم ليتفهموه . ففي رؤوس جبل لبنان وفي اطراف سوريا تجد في خزانات الكتب كتب الطب للرشيدي ، والجغرافيا لكلوت بك ، والفلك لمختار باشا ، والهندسة لوهبي بك ، والزراعة لاحمد ندى الخ . وفي اطراف تلك

البلاد تجد اطباء شيوخاً ومهندسين هرمين تلقوا العلوم في مدارس مصر

وبدت النهضة الادبية في سوريا منذ خمسين عاماً ، فانتفعت بها مصر : فصحف البستاني ومجلاته وكتبه وقواميسه ودائرة معارفه ، ومؤلفات الشدياق ، وكتب اليازجي ، وتصانيف فانديك ، ومطبوعات اليسوعيين والاميركان وتآليفهم كانت لسوريا ومصر معاً . وهذه مجلات مصر وسوريا وصحف كلتيهما كأنها مجلات الأخرى وصحفها . وهؤلاء كتاب مصر وسوريا وعلماؤهما كلٌ واحد منهم كاتب كلا القطرين وعالمه

تصعد الجبل في سوريا او تهبط الوادي ، فتسمع المغنين يتغنون بقصيدة شوقي ، او منظومة حافظ . وتطوف الارجاء هنا ، فتسمع الادباء يتحدثون بمؤلفات اليازجي او الشرتوني او البستاني ، وتطالع المجلات وفصولها فلا تجد فرقاً بين كاتب مصري ومصنِّف سوري . واذا تدرجت في البحث والتنقيب ونزلت الى صميم الشعب وحياض العامة ، رأيت التقاليد بالاغاني والاناشيد والرقص والعزف واللهو والحزن والمآكل والملابس والافراح والمآتم والاثاث والفرش وتدبير المنزل نقل بعضها او اكثرها او كل جديد متقن منها من بر الشام الى بر مصر ، او من بر مصر الى بر الشام . فهما في اللغة والرقعة الجغرافية بلد واحد وان لم تكونا في السياسة كذلك

فاذا كانت «الزهور» قد أُنشئت لزيادة التعارف بين ادباء القطرين وعلماء المصرين ، فانما هي قد رمت الى غاية جليّ وغرضٍ نبيل ، قد يكون اقلُّ منافعهِ سرعان التعارف والترابط بين الادباء ، حتى يزداد الشعبان نفعاً بها ، بفضل لغتهما الواحدة

داود بركات

تحية الشعراء

١ – من شعراء مصر الى سوريا

لمصر ام لربوع الشام تنتسبُ هنا العلى وهناك المجدُ والحسبُ
ركنان للشرق لا زالت ربوعهما قلب الهلال عليها خافق يجبُ
امُّ اللغات غداة الفخر امهما وان سألت عن الاباء فالعربُ
اذا المت بوادي النيل نازلةٌ باتت له راسيات الشام تضطربُ
لو اخلص النيل والاردنُّ ودَّهما تصافحت منهما الامواه والعشبُ
بالواديين تمشى الفخر مشيته يحف ناحيتيه الجود والدأبُ
نسيم لبنان كم جادتك عاطرة من الرياض وكم حياك منسكبُ
في الشرق والغرب انفاس مسعرةٌ تهفو اليك واكباد بها لهبُ
هذي يدي عن بني مصرٍ تصافحكم فصافحوها تصافح نفسها العرب
فما الكنانة الا الشام عاج على ربوعها من بنيها سادةٌ نجب

حافظ ابرهيم

يحنُّ لمصر من سكن الشآما ونحن نود لو كانت مقاما
منابت لا تجف بها الخزامى ولا تشكو ازاهرها الأواما
وارض تنبت اليوم المعالي وكانت تنبت الرسل الكراما
على لبنان زهريّ الهضابِ على الاردنّ خمريّ الحباب
على القدس المفضل في الكتاب على تلك القصور على القباب
سلامٌ متيمٍ لولا الليالي تقيده لما بعث السلاما
عبدنا الله لا خوف انتقام ولكن قيل عدنٌ في الشآم
فاكثرنا الصلاة مع الصيام لتجمعنا الشآم لدى الزحام
ولو لم نعتقد صدق المقال لما صلى فتىً منا وصاما

عبد الحليم المصري

٢ – من شعراء سوريا الى مصر

ايه يامصر انت منزل قوم اخذوا قسطهم من المدنيه [1]
قد هجرنا لاجلك الوطن الأول مهوى اهوائنا الاصليه
واتخذنا لنا اخلاء من اهلك اهل النهى وصدق النيه
نشأت بيننا الصلات قديماً وستبقى ما دامت الذريه
بيننا يجمع اللسان اذا فرّق بين الطوائف الاجنبيه
كم نعمنا فيما مضى وشقينا فاقتسمنا حظوظنا بالسويه
بين مصر والشام عهد قديم هو عهد الاخآء والوطنيه
عقدته السماء والارض والنا سُ فكان الوثيقة الادبيه
فلتعش مصر وليعش ساكنوها وعليك السلام ياسوريه

نقولا رزق الله

سلامٌ على الوادي الخصيب ونيله على نبته غضاً على قومه غرا
بني النيل انتم ألين الناس جانباً وابسطهم كفاً وارحبهم صدرا
بني النيل انا ان اقمنا وان نسر نرد لبني النيل السعادة واليسرا
وهذي ايادينا نصافحكم بها فانتم لها اوفى وانتم بها احرى

الدكتور ابرهيم شرودى

مصر العزيزة دام العز منتسباً لقومك الغر من فرع ومن سلف
ابناؤك اليوم من ابناء شرقهم مكان هادي السرى في المهمه القذف
قد مُدّن الغرب من آثار ملكهم واشرق الشرق من سيارة الصحف
كرام نفسٍ الى حلم الى ادبٍ واهل عزم الى ظرفٍ الى لطف

امين البستانى المحامى

---

(١) انشدت في الحفلة الجميلة التي اقامها الاديب سليم افندي سركيس لاكرام الشاعر حافظ ابرهيم

٠٠٠ واي شيء بمصر لا يتيمنا　　مصرُ حوت كل ما شاق الورى وسبى
واعشق الانس يجلو لي دجى كربي　　وفي الكنانة انسٌ يكشف الكربا
واعشق الزهو في هـذي الحياة وما　　الفيتُ في مصر الاّ الزهوَ والطربا
واعشق اللغة الفصحى وقد ضربت　　في مصر اللغة الفصحى لها طنبا
وفي الكنانةِ هـذا كلهُ وانا　　أحبها ولو اني لا ارى سببا
دارٌ اذا قال فيها نازحٌ وطني　　أحبُّ منها الى قلبي فقد كذبا
أهدي السلام (لشوقيها) و(حافظها)　　و (للخليل) ومن يبقى من الادبا

رشيد مصوبع

الحركة الادبية

كانت سوريا في النصف الاخير من القرن الغابر مهدَ كتّابٍ مشاهير وادباء اعلام كان لهم اليد الطولى في نهضة اللغة العربية والاداب الشرقيـة، ولما ضاق عليهم هذا المضمار في ربوع الشام، هاجروا زرافات الى وادي النيل، فكانت الديارُ المصرية خير مسرح تجلّت عليه عرائس افكارهم وبرزت اليـه نفائس خواطرهم. بل وجـدوا في تلك الديار التى حلوها على الرحب والسعة تكملة لسليقتهم. وهكذا اذا كانت الشام قد انبتتهم فان مصر انمتهم وانضجت افكارهم فانتجت اينع الاثمار بعد ان كانت حملت الطف الازهار. وما عهد اليازجي والنقاش والحداد واديب اسحق وغيرهم ببعيد. وعليه فيصعب على من شاء ان يكتب تاريخ الاداب العربية الحديث ان يفرق بين القطرين ويميز بين كتّاب البلدين. وجلُّ الكتّاب ان لم نقل كلهم قد نشقوا نسيم لبنان العليل ورشفوا ماء النيل السلسبيل. فيحق لكلا القطرين ان يدَّعيهم

وكانت ريح الاستبداد العاصفة قد شتتت شمل السوريين ونثرتهم في كل انحاء العالم، فطرحتهم مطارح النوى الى اقصى بلاد الله، فعرفوا مجاهل افريقيا ومفاوز

اميركا و بطاح اوستراليا . ولما كان السوري ميالاً بطبيعته الى الكتابة والتحرير حمل معه الى المهجر طرسه وقلمه فانشأ الصحف والمجلات وخدم اللغة العربية اينما نزل ، والبريد يحمل الينا في كل اسبوع جرائد شتى ومطبوعات متنوعة من مراكش وكندا والولايات المتحدة والمكسيك والبرازيل والارجنتين الخ

ولما سكنت عاصفة الاستبداد التي كادت تجتاح كل عقل مفكر وقلم محبر ، هبَّ نسيم الحرية اللطيف فرد الى سوريا بعض ابنائها بعد ان كان قد خيّل ان لا تلاق بعد ذاك الفراق . فرأت بيروت صاحب « المهاجر » النيويركي وصاحب « المناظر » البرازيلي وصاحبي « الراوي » و « المصوّر » الاسكندريين ورأت دمشق صاحب « المقتبس » وطرابلس المغربي ورحبت حلب بادبائها و بغداد بشعرائها ... ولكن الكثيرين قُضي عليهم في ارض منفاهم ، فخمدت انفاسهم وتقطعت اوصابهم ، فكان لحدهم في ارض غير التي هُزَّ عليها مهدهم ... وان سوريا لتذكرهم اليوم وفي عينها دمعة محرقة لانها تشعرُ بالحاجة اليهم لانارة العقول وتثيف الاذهان في طور الانتقال الصعب الذي تمرُّ به الآن ، وهي تقول : رحمة وسلام على من مات ، واهلاً وسهلا بمن عاد .. ! بل هي تلقي نظرة ملؤها الشكر الى شقيقتها مصر التي حفظت لها ابناءها واثمار احشائها . وتدعو الكتاب المصريين لزيارة ربوعها ، فان التضييق الذي كان يقصيهم عنها قد اندرس وزال ، فيلاقون كل حفاوة واكرام ، ويشعرون عند ما يطأون الارض السورية انهم ليسوا بالاغراب فان كتاباتهم قد سبقتهم واعدت لهم السبيل ، فصبيان المدارس يروون شعرهم ونثرهم ، والكتاب يوردون رأيهم وقولهم . ولنعم النسب نسب الادب

ولقد وقفت مجلتنا نفسها على القيام بهذه الخدمة منذ نشأتها ، وهي دائبة بمعاونة الادباء ، الذين يقلدون جيدها بدرر نفثاتهم ، على متابعة هذه الخطة التي نالت رضى العموم . ولهذا نحن نقدم اليك ايها القارىء العزيز هذا العدد الكبير ، وقد بذلنا المجهود في تزيينه بالرسوم العديدة وتحليته بانفس ما جادت به قرائح الكتّاب ونحن موقنون بانك سترتاح الى هذا الموضوع الجليل وتقدره حق قدره

لانك بواسطته ستعرف اشياء كثيرة عن البلدين المتجاورين او القطرين الشقيقين، والتعارف يؤولُ الى التحابّ والتوادّ ، وعن ذلك ينجم التضامن في المصالح والتساند في المرافق ، ومن احوج منا الآن الى التضامن والتساند

فالى قادة الافكار في القطرين نوجه خصوصاً الدعوة الى العمل على زيادة الترابط في الشؤون المادية والادبية . ويا حبذا لو تألفت لجان في مصر تزور سوريا ولجان في سوريا تزور مصر . فتدرس هذه وتلك الاسباب التي توثق عرى التآلف للاخذ والرد شأن الاقطار الاخرى في الغرب ، عسى ان تنبعث من احتكاك هاتين المدنيتين القديمتين شرارة توقد مصباح المدنية الحديثة في مصر وسوريا فينير الظلام الذي كدنا نضيع في دياجيه ، بعد ان كان اجدادنا المصريون القدماء والفينيقيون ينيرون العالم بفنونهم وصنائعهم . فيحق ان نعيد حينذاك الآية « من الشرق النور » النور الطبيعي والنور الادبي

* * *

وفي هذه المناسبة لا يسعنا الا اسداء صميم شكرنا وشكر قراء « الزهور » العديدين لكل الادباء الذين ساعدوا بنوع خاصٍ في تدبيج هذه المجموعة ، معتذرين للذين اضطرنا ضيق المجال الى تأجيل كتاباتهم الرائقة ، فان الموضوع كما قدّمنا واسع الاطراف لا يمكن استيعابه في كتاب واحد ولنا في سائر اعداد المجلة متسع كافٍ لايراد ما تأخر هذه المرة

